لغات العرب

وأثرها في التوجيه النحوي

تأليف

الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني



مكتبة الفلاح


لغات العرب

الطبعة الأولى

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

مكتبة الفلاح - الكويت

ص.ب ٤٨٤٨ - الكويت - شارع بيروت - عمارة الحساوي

مقابل بريد حولي - تلفون ٥٤٧٧٨٤

لغات العرب

وأثرها في التوجيه النحوي

تأليف

الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني




بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأميـن، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

لا ريب أن اللغة العربية قد قطعت شوطاً كبيراً نحو النمو والتطور حتى أضحت شامخة البنيان، جنة وارفة الظلال، شهيةَ الثمر، ذات قدسية رفيعة الجانب، وقد تشرفت هذه اللغة بنزول القرآن الكريم بها، وهو الذي أحاطها بقدسية لا مثيل لها، ولن نغالي إذ نقرر أنه جعلها خالدة الدهر.

وكان القرآن الكريم منبعاً فكرياً واجتماعياً وسياسياً لا ينضب، إذ بعث حياة مهذبة، رسمت للإنسانية حياةً فاضلةً جاءت رحمةً وبراً للعالمين كافة.

وقد قال تعالى مخاطباً رسولنا العظيم: ﴿هو الذي ينزل على عبده أيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ وكان للعربية حظ وافر مع ذلك النور الساطع الوهاج، إذ جاءتْ مُهَذَبةً آيَّما تهذيب معجزةً لقومٍ اشتهروا بالفصاحة والبيان تسير في خط بياني دقيق السمات، قاهرةَ لغات الجزيرة جَمعاء محطمةً حواجز البيئة المصطنعة بين قبائل العرب المتباينة قاطبةً وَبَراً ومَدَراً، توحدها لغةً ولساناً، وتجعلها أمةً ساميةً خيرَ أمةٍ أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى

عن المنكر، بعيدةً عن العصبية والوثنية الضالة تسير بنفحات العطر القرآني وومضاته المشرقة.

أما موضوع البحث فهو «لغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي» وأحب أن أشير إلى حقيقة حرية بالإعتبار ذات صلة وثيقة بدراسة أعددتها فيما سبق. وهي ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، حيث كنت كثيراً ما أقف مع بعض الظواهر النحوية التي لم يضع علماء النحو تصنيفاً لها. كما فعلوا مع الشاذ والنادر والقليل والكثير والغالب والضعيف وغير ذلك من مصطلحاتهم. بل كانوا يكتفون بوصفها بأنها لغة من لغات القبائل العربية تارة يذكرون اسم القبيلة العربية صاحبة اللغة وتارة أخرى لا يذكرونها.

ولما كانت المكتبة النحوية العربية في حاجة لمثل هذه الدارسات حاولت جاهداً أن أقدم في البحث دراسة ميدانية تكاد تكون شامله لمصطلح اللغة عند النحاة بصفة خاصة وعلماء اللغة بصفة عامة، معتمداً في ذلك على الأثر النحوي المدون في كتب النحاة أنفسهم غير مكترث بآراء الرواة، مبيناً أثر اللغات على التوجيه النحوي في بناء القاعدة النحوية من جهة، ومن جهة أخرى، دور القبائل العربية التي نُسِبَتْ إليها تلك اللغات وذلك منذ القرن الثاني الهجري حتى آواخر القرن العاشر. وأدت طبيعة البحث أن يكون في بابين موزعاً على ستة فصول.

الباب الأول لغات العرب: يحتوي على فصول ثلاثة:

الفصل الأول: الفرق بين اللغة واللهجة، تحدثت في هذا الفصل عن معنى كل من كلمة لغة ولهجة في كل من الاصطلاح واللغة، مشيراً إلى رأي القدماء في ذلك وموقف المحدثين من العلماء حول هذا الموضوع، وأشرت

إلى تاريخ الفصحى عند القدماء كابن فارس وابن سلام والمسعودي والجاحظ وغيرهم ثم موقف المحدثين ورأي المستشرقين ومن سار في دربهم من العلماء العرب. كما تحدثت حول وحدة اللغة: وآراء العلماء في ذلك من قدماء ومحدثين . كما قدمت نماذج دراسية لاختلاف اللغات عند القبائل العربية،

الفصل الثاني: تفاوت القبائل العربية في الفصاحة.

تحدثت عن معنى الفصاحة عند علماء المعاني والبيان واللغة عموماً. ومفهوم اللغات عند علماء اللغة خاصةً، حيث يختلفون مع مفهوم اللغات لدى النحاة.

كما قدمنا نماذج لمفهوم اللغات عند أصحاب المعاجم كلسان العرب وتاج العروس والتهذيب والصحاح، كما أشرت إلى موقف النحاة من لغات العرب عامة.

وأشهر القبائل العربية التي نقل عنها سيبويه في كتابه «الكتاب» والمبرد في كتابه «المقتضب» كل ذلك جاءَ معززاً بالشواهد العربية الأصيلة، ثم موقف الكوفيين من لغات العرب مع نماذج لآراء شيوخهم كالكسائي والفراء وثعلب.

الفصل الثالث: الظاهرة التاريخية:

تحدثت في هذا الفصل عن القبائل العربية التي نسبت إليهم اللغات وذلك كما جاءت في كتب النحاة، وتتبعت أماكنها وهجراتها بشيءٍ من الإيجاز. كما تحدثت عن اللغات من حيث التطور والجمود والاندثار في بعض الأحايين. وموقف النحاة والقياس على المشهور منها، كما أشرت إلى

اهتمام العرب قديماً بقواعد اللغة العربية وتتبعت ذلك منذ رسولنا الكريم محمد ﷺ وأصحابه الأبرار من بعده ومن تلاهم من حكام وعلماء حتى عصر المماليك.

الباب الثاني الأثر النحوي: يحتوي على فصول ثلاث

الفصل الأول: المرفوعات: تحدثنا في هذا الفصل عن لغات العربَ في المرفوعات نحو الفاعل، والمثنى وملحقاته والضمير، وملحق جمع المذكر السالم واجتماع اللقب والاسم، وخبر لا النافية للجنس والأسماء الستة وما ولا وإنْ المشبهات بليس، والأسماء الموصولة. كل ذلك جاء مسنداً لكل قبيلة من القبائل العربية.

الفصل الثاني: لغات العرب في المنصوبات والمجرورات.

تحدثت في هذا الفصل عن لغات العرب في المنصوبات والمجرورات وبدأت ذلك بالمنادى المضاف إلى ياء المتكلم، ونصب الأسم الواقع بعدكم الخبرية عند بني تميم، ونصب الجزءين بعد إنَّ وأَخَواتها عند بعض القبائل العربية، والاستثناء المنقطع عند بنِي تميم، ونصب غير مطلقاً، وبعض الأسماء مطلقاً إذا دَلَّ على العامل المحذوف دليل كما قدمنا نماذج لمصادر حُذِفَ عاملها، وكذلك بعض المفاعيل المتباينة؛ ثم تحدثنا عن ظاهرة الجر عند القبائل العربية التي خرجت عن المجال القياسي العام نحو الجر بلعل ومتى.

الفصل الثالث: ظواهر لغوية متفرقة.

تحدثنا في هذا الفصل عن بعض الظواهر اللغوية المتباينة والتي تهم الداراسين علماءَ وطلاب وبدأنا بظاهرة البناء والإعراب، ولغات القبائل

حول ذلك. كما تحدثنا عن لغات العرب حول بعض الأفعال، ثم عن التعدي واللزوم والتخفيف والتثقيل، وإلغاء الظاهرة الزمنية في بعض الأفعال وبخاصة في قرآننا الكريم ثم عن أسماء الأفعال والحذف في بعض الكلمات والأفعال دون علة نحويه، ثم ختمنا بحثنا حول اللغات كَماً وكَيْفاً، مبيناً دور ألفية ابن مالك وما صاحبها من شروح وحواشي وأثر ذلك على التوجيه النحوي وكيف لجأ هؤلاء العلماء إلى كتابة المطولات مما زادت مشاكل النحو العربي كَمّاً وهَمّاً. وبعد أرجو الله الكريم أن أكون قد وفقت في أبراز ما قصدت إليه خدمةً لديننا الحنيف ولغتنا العربية الخالدة، وأعلم يقيناً أن الكمال لله وحده أما عمل الإنسان فهو معرض للخطأ والنسيان. وأنا أبرأ إلى الخالق العظيم عز وجل من القوة والحول وإياه استغفر من الزلل في العمل والقول لا إله غيره إنه نعم المولى ونعم النصير.

والله الموفق

فتحي عبد الفتاح الدجني

البَابُ الأوَّلُ

لُغَاتُ العَـرَبِ

الفصل الأول

الفرق بين اللغة واللهجة

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن لغات العرب، أن نقف مع الظاهرة الاصطلاحية واللغوية لمعنى كلمة لغة ولهجة. وقد يقابل الباحث والقارىء على حد سواء كثيراً من الأقوال نحو: لغات العرب، لهجات العرب، لسان العرب، الأحرف السبعة وغير ذلك. والحقيقة أن للكلمة في أغلب الأحيان معنيين: معنى لُغوي، وهو ما تسجله معاجم اللغة، وآخر اصطلاحي، وهو ما يتفق عليه بين العلماء والجمهور أو بين العلماء فقط[1].

أولاً: المعنى اللغوي لكلمة لغة:

١) لَغَا: اللَغْو واللُغَا: السقيط وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائده ولا نفع.

قال عز وجل: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ واللغو في الأيمان ما لا يعقد عليه القلب.

قال الشافعي: «اللغو في لسان العرب الكلام غير المعقود عليه»[2].

---

(١) اتفق العلماء على أن كلمة الكتاب تطلق كمصطلح على كتاب سيبويه، انظر تفسيراً لبعض المصطلحات «ظاهرة الشذوذ ص ٧ ومابعدها».

(٢) لسان العرب مادة «لَغَوَ» ونحوه تاج العروس وأساس البلاغة ص ٥٦٨.

٢) ﴿اللُغَا: ما لا يعد من أولاد الأبل في دية أو غيرها لصغرها وشاة لَغْو ولَغا.

قال ذو الرمة:

يَهْلِكُ وسْطَها المرئي لَغْواً كما ألغيْتَ في الدِّية الحوارا[1]

٣) الإثم والخطأ، قال الأصمعي: لَغَا يَلْغُو إذا حلف يميناً بلا اعتقاد، وقيل معنى اللغو الإثم، ويقال لَغَوْتُ باليمين. وقيل: لَغَا في القول يَلْغُو ويَلْغَى لَغْاً ولَغِيَ بالكسر يَلْغِي ومَلْغَاةً أخطأ وقال باطلاً.

قال رؤبة ونسبه ابن بري للعجاج:

ورُبَّ أسْرَابِ حَجَيجٍ كُظَّمِ عَن اللغَّا ورَفْثِ التَّكلُّمِ

وكلمة لاغية: فاحشه وفي التنزيل العزيز ﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ أي كلمة قبيحة أو فاحشه ونباح الكلب لَغْوٌ أيضاً.

وقال:

قُلْنا للدَليلِ أَقِمْ إليْهم فلا تُلْغَى لِغَيْرِهِمْ كِلابُ[2]

٤) إبطال الشيء: ألغيت الشيءَ: أبطلته وكان ابن عباس رضي الله عنهما يلغى طلاق المكره أي: يبطله وألغاه من العدد[3].

٥) اللُغَةُ: اللُسُن وَحَدَّها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وقيل: أصلها لُغَيٌّ أو لُغُوٌ والهاء عوض وجمعها لُغَى، والجمع لغات بالضم ولُغون.

وبالنسبة إليها لُغَوي ولا تقل لَغَويٌّ «بالفتح».

---

(١) لسان العرب مادة «لَغَو» ونحوه. تاج العروس وتهذيب اللغة.

(٢) لسان العرب مادة«لَغَو»ونحوه تاج العروس والقاموس المحيط.

(٣) لسان العرب مادة «لَغَو» ونحوه المصباح المنير.

قال أبو سعيد: إذا أردت أن تنتفع بالأعراب فاسْتَلْغِهم أي: اسمعْ من لُغَاتِهم من غير مسألة.

قال الشاعر:

وإنِّي إذا اسْتَلْغَاني القومُ في السُّرى
بَرِمْتُ فألفَوْني بِسَرْكٍ أعْجَمَا

لَغَا فلان عن الصواب، وعن الطريق، إذا مال عنه، قال ابن الأعرابي: اللغة أخذت من هذا لأن هؤلاء تكلموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين. واللغو النطق: يقال: هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون[1] قال الفيومي: سمعتُ لُغَاتِهم أي: اختلاف كلامهم[2].

ثانياً: المعنى اللغوي لكلمة لَهْجة[3]:

١) الولوع بالشيء.

جاء في اللسان: لَهِجَ بالأمر لَهَجاً، ولَهُوج وألْهَجَ كلاهما أُولع به، واعتاده وألهجته به، ويقال: فلان مُلْهَجٌ بهذا الأمر أي مولَع به، واللهج بالشيء الولوع به، والفصيل يلهج أمه إذا تناول ضرعها يمتصه، قال الزمخشري: له منظر بهج وأنا به لَهِجٌ وقولهم: ملاهيج بالحنا، قال الكميت:

وفي النَّاسِ أقْذَاعٌ مَلاهِيجُ بالحَنا متى يَبْلغ الجَدُّ الحفيظة يَلْعَبُوا

---

(١) لسان العرب مادة «لغو» ونحوه وأساس البلاغة ص ٥٦٨ والصحاح.
(٢) المصباح المنير ٢ / ٢٢٣.
(٣) انظر لسان العرب وتاج العروس والتهذيب مادة لَهَج وأساس البلاغة ص ٥٧٧ والمصباح المنير والصحاح مادة «لَهَج».

وقال الشماخ ذاكراً عَيْراً:

رعى بأرض الوَسْميَّ حتّى كأنّما يَرى بِسَفَى البُهْمَى أخلَّةَ مُلْهِج

٣) طرف اللسان: اللَهْجه بالسكون أي: بسكون الهاء، واللَهَجة بفتح الهاء، طَرَفُ اللسان وأيضاً جرْسُ الكلام. قالوا: هو فصيح اللَهْجَة وصادق اللهَجَة..

٣) اللسان.

واللهْجَةُ بالسكون، اللسان، جاء في الحديث الشريف ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر. وفي حديث آخر: أصدق لهجة من أبي ذر: وقد ذكر القرآن الكريم كلمة اللسان في كثير من المواضع. قال تعالى: ومَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ليبينَ لَهُم[1]﴾ وهذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[2]. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍ مُبِينٍ﴾[3]، هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِسَاناً فأرسلُه مَعَى[4].

﴿وهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِياً لِيُنْذَرَ الَّذينَ ظَلَمُوا﴾[5]، ﴿فَإنَّما يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾[6].

٤) اللغة:

اللهَجة بفتح الهاء، وسكونها هي لغته التي جبل عليها، فاعتادها ونشأ عليها قال الجوهري: وقد يحرك، يقال: فلانٌ فصيحُ اللهْجة واللهَجة،

(١) سورة إبراهيم آية ٤.
(٢) سورة النحل آية ١٠٣.
(٣) سورة الشعراء آية ١٩٥.
(٤) سورة القصص آية ٣٤.
(٥) سورة الأحقاف آية ١٢.
(٦) سورة الدخان آية ٥٨.

ولهجتُ القومَ تلهيجاً، إذا لَهَّنْتَهم وسَلَّفتَهم(1).

إذا ما وقفنا مع الآراء السابقة حول معنى كلمة لغة ولجهة، نلحظ أنهما مترادفتان في المعنى اللغوي كما بينا آنفاً. كما نلحظ أيضاً أن من معاني اللجهة كلمة لغة ولسان. ويبدو أن العلماء الأوائل وبخاصة اللغويون لم يفرقوا بين معنى كلمة لهجة ولغة، فأحياناً يطلقون لهجات العرب وتارة يطلقون لغاتهم أو معنى آخر من معاني كلمة «لهجة» كما جاء في الذكر الحكيم إذ ذكرت بمعنى اللسان».

ثالثاً: معنى اللغة اصطلاحاً:

يلحظ الباحث أن العلماء قد استخدموا أكثر من مصطلح لمعنى اللغة، وإليك تفصيلاً لذلك:

1) الحرف:

ذكر العلماء أن كلمة حرف تأتي بمعنى اللغة: وروي عن الرسول ﷺ أنه قال: «نَزَلَ الْقُرآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلّهَا كَافٍ شافٍ شأنٍ فاقْرءَوا مَا تَيَسَر مِنْهِ» وذكر السيوطي قال: نزل القرآن بسبع لغات كلها كَافٍ شَافٍ «(2)وقال في موضع آخر: إنَّ المرادَ سبعُ لغات(3)».

قال صاحب اللسان: «كل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفاً »تقول: هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود قال ابن سيده: الحرف القراءةُ التي تقرأ على أوجه، وما جاء في الحديث من قوله عليه

(1) الصحاح جـ 1 ـ 339 دار الكتاب العربي.
(1) المزهر 1 / 257.
(2) الاتقان 1 / 133.

السلام: «نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف»، أراد بالحرف اللغة.

قال أبو عبيد وأبو العباس: «نزل على سبع لغات من لغات العرب» ويقول: هذه اللغات متفرقة من القرآن الكريم فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة أهل اليمن وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة هذيل[١].

٢) المخالف لكلام العرب.

أطلق أبو عمرو بن العلاء كلمة لغات على ما خالفه من لغات العرب. ونحب أن نبين في هذا الشأن أن المخالف في كلام العرب ليس شاذاً أو نادراً بل يكون مقبولاً عند بعض القبائل.. ومرفوضاً عند بعضها.

روى الزَّبيدي عن ابن أبي سعد أنه قال: «سمعت أبي يقول لأبي عمرو ابن العلا، أخبرني عما وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيها كلام العرب كله؟؟ فقال: لا، فقلت كيف تضع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة، قال: أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفني لغات»[٢].

وقد نلحظ أن كثيراً من الرواة ذكروا عند تراجمهم لبعض العلماء صفة العالم باللغة والغريب. وذكر السيرافي عند ترجمته يونس بن حبيب أنه كان من باب أبي زيد في العلم باللغات[٣] وكذلك الرياشي[٤] والسجتاني[٥].

وقد روى السيرافي عن عيس بن عمر أنه سئل يوماً عن كتابه وقلت له

---

(١) لسان العرب مادة «حرف» بتصرف.

(٢) مراتب النحويين ص ٣٧ انظر الدراسة للغوية لبعض الكلمات في المعاجم العربية ضمن هذا البحث.

(٣) أخبار النحويين البصريين ص ٢٧.

(٤) أخبار النحويين البصريين ص ٦٨.

(٧) أخبار النحويين البصريين ص ٦٨.

يوماً: أخبرني عن هذا الذي وضعت يدخل فيه كلام العرب كله؟ قال: لا، قلت: فمن تكلم بخلافك واحتذى ما كانت العرب تكلم به، أتراه مخطئاً؟ قال لا: قلت: فما ينفع كتابك[1]. «وهذه الرواية تشير إلى أن بعض العرب لم تأخذ كل ما قيل عن العرب بل حدث قياس على الأكثر» ولكن اللغات الأخرى لم تُخَطَّىءُ كما يبدو من الرواية السابقة. وذكر الفيومي ذلك صراحة إذ قال: سمعت لغاتهم أي اختلاف كلامهم[2]. كما أطلق النحاة كلمة لغة على ما خالفهم في القاعدة النحوية، إذ قالوا: لغات العرب في المثبي، والأسماء الستة وغيرها[3].

ونحب في هذا الشأن أن نستطرد مع بعض الروايات التي توضح مفهوم اللغة عند العلماء، وهي لا تختلف عما ذكرناه آنفاً.

نقل أحمد بن فارس «عن بعض الفقهاء» كلام العرب لا يحيط به إلا نبي، وهذا الكلام حرى أن يكون صحيحاً[4].

وقال أبو سعيد السيرافي: «يقال أن الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة، وكان الخليل يحفظ نصف اللغة، وكان أبو مالك عمرو بن كركره يحفظ اللغة كلها»[5].

وإذا ما وقفنا مع الأقوال السابقة نلحظ أن الغلوَ واضحٌ عند كلا العالمين. وذلك لسبب بسيط وهو أن كلام العرب لا يحيط به بشر ولا يحيط بكلام العرب

---

(١) أخبار النحويين البصريين ص ٢٦.
(٢) المصباح المنير ٢ / ٢١٨.
(٣) شرح ابن عقيل ١ / ٦٢ وما بعدها.
(٤) الصاحبي ص ٤٧.
(٥) أخبار النحويين البصريين ص ٤١ ط الحلبي.

إلا خالقهم عز وجل، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بإيضاح عندما تحدث عن آدم. قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّها﴾[1] لم يقل تعالى: الكلام كله أو اللغة كلها، فقد حدد جزءاً من اللغة وهي الأسماء، ولنقف مع رسولنا العظيم محمد ﷺ وهو أفصح العرب قاطبة إذ كان لا ينطق عن الهوى كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم مَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ﴾[2]. فهو تعليم محدد والحقيقة أننا لم نجد في آيات القرآن الكريم ما تدل على أن الإنسان حتى الأنبياء عليهم السلام علموا اللغة كلها، ولنقف مع قوله تعالى في بعض الآيات التي ذكرها عن الأنبياء.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمَاً[3]، وَلُوطاً أَتَيْنَاهُ حُكْمَاً وَعِلماً[4]، وَلَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتيناهُ حُكْمَاً وَعِلْماً[5].

وعندما نقف مع الآيات السابقة، نلحظ أن القرآن الكريم استخدم النكرة أولاً، بقوله «عِلْماً، وهي لا تفيد التعميم من جهة ومن جهة ثانية أنها تخلو من الإشارة للتأكيد أو الجمع أمّا عند وصف الذات الإلّية بالعلم نلحظ أن الاستخدام اللغو ي يختلف عن الآيات السابقة، إذ اقترن العلم الإلّهي بالإحاطة والشمول وذلك في استخدام كل شيء وهنا تفيد التعميم والاحاطه

---

(١) سورة البقرة آية ٣١.

(٢) سورة النجم آية ١ ـ ٥.

(٣) سورة النمل آية ١٥.

(٤) الأنبياء ٧٤.

(٥) يوسف ـ ٢٢ انظر خلافات العلماء في تحديد «أشدة» الكشاف ٢ / ٢٨ ونحوه في ظلال القرآن ج ١٠ /٧٠٧.

انظر أقوال علماء التفسير واللغة حول استخدام القرآن الكريم للنكرة حيث تفيد التقليل وذلك في قوله تعالى: ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفا للناس﴾ سورة النحل آية رقم ٧٠ الكشاف وتفسير الجلالين والبحر المحيط والقرطبي.

والشمول[1] قال تعالى:

﴿وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[2]

﴿لَا إِلَه إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شيءٍ عِلْماً﴾[3].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رحمةً وعلماً[4].

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شيءٍ عِلْماً أفلا تَتَذَكَّرُون[5].

وتجد بعض الآيات القرآنية قاطعة الحكم، قال تعالى: ما أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إلَّا قَلِيلًا[6]، هذا ردنا على الفقهاء وابن فارس، أما ردنا على السيرافي، فنرى أن السيرافي قد ابتعد عن الصواب لهذا التقسيم، فهل السيرافي أَحصى اللغة حتى يقسمها على الأصمعي والخليل وعمرو بن كركره؟ ونحن أثبتنا أن اللغة كعلم لا يعلمها إلا خالقها ولا يحاط بها. ونحب في هذا الشأن أن نسوق هذه الرواية عن الأصمعي الذي لا يعرف معنى كلمة سُئِلَ عنها: «حكي عنه أنه سئل عن قوله قد شَغَفَها حُبّاً» فسكت وقال: هذا في القرآن ثم ذكر قولاً لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها ـ أتبيعونها وهي لكم شغاف؟ ولم يزد على ذلك[7].

---

(١) النكرة عند علماء النحو لا تفيد التعميم أو التخصيص إلا إذا أُضيفت أو سبقت بنفي انظر همع الهوامع ١ / ٨٠ وشرح المفصل ١ / ١٠٩ وحاشية الخضري ١ / ٩٧ والكشاف. ٣ / ٤١٨ ﴿فيه شفاء للناس﴾.

(٢) سورة الطلاق آية ١٢.

(٣) سورة طه آية ٩٨.

(٤) سورة غافر آية ٧.

(٥) الأنعام آية ٨٠.

(٦) سورة الإسراء آية ٨٥.

(٧) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٣١ نقلاً عن كتاب القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ص ٢٤٣.

أما مفهوم اللغة عند العالمين السابقين «فيبدو من أقوالهما أنهما يريدان الخلافات البنائية والنحوية[1].

٣) الفصحى:

يتضح للقارىء في كتب النحو واللغة أن علماء النحـــو استخدموا كلمة لغة كاصطلاح لقاعدة نحوية أو صرفيه. ونحب في هذا الشأن أن نشير إلى بعض أقوالهم التي توضح هذا المفهوم. لم يذكر سيبويه كلمة لهجة بل كان يقول لغة العرب أو لغات العرب عند إثبات قاعدة نحويه أو صرفيه[2].

قال الفراء عند حديثه عن نداء ابن المضاف إلى ياء المتكلم: يا بُنَيَّ ويا بُنَيِّ «لغتان»[3] ونلحظ أن الفراء يريد في المثل السابق القاعدة النحوية. وعن قراءة «هَيْتَ» في قوله تعالى﴿وقالت هَيْتَ لك﴾[4].قال الفراء: »إنها لغة لأهل حوران سقطت إلى مكه فتكلموا بها وأهل المدينة يقرؤ ن هِيت لك بكسر الهاء ولا يهمزون، وذكر عن علي بن أبي طالب وابن عباس أنهما قرأ﴿هئت لك﴾ يراد بها تهيأت لك.

وقد قال الشاعر:

إنَّ الْـعِـراقَ وأهْـلَهُ سَلْمٌ عَليْـكَ فَهَيْتَ هَيْتَـا

أي هَلُمَّ«[5].

قال ابن خالويه في حديثه عن قراءة﴿لَمْ يَكُن لَه كفؤاً أَحَدُ﴾[6]وفي كفؤ

---

(١) الصاحبي ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١ وانظر رأى السيرافي هامش كتاب سيبويه ج ١ / ص ٣٧، ٣٩، ١٣٩، ١٤٨، ١٦٠، ١٦٦، ١٦٨، ١٩٣، ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) الكتاب ج ١ ص ٢٨، ٣٦، ٦٢، ٧٣، ١٨٧، ٣٤٥، ٣٤٣.

(٣) معاني القرآن ٢ / ٣٥ ﴾انظر الخلافات في اللغة ـ الصاحبي ص ٧٢.

(٤) سورة يوسف آية ٢٣.

(٥) معاني القرآن ٢ / ٤٠ وتهذيب اللغة مج ٦ / ٣٩٣.

(٦) سورة الاخلاص آية ٤.

لغات: كفءُ، وكُفؤ، وكُفُوٌ، وكفاء وكله بمعنى واحد أي ليس له مثيل ولا عديل[1]».

أما قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾[2]. وروى ابن خالويه عن الفراء عن الكسائي أن في «سوف» أربع لغات.

يقال: سوف يعطيك، وسيعطيك، وسوه يعطيك وسف يعطيك»[7].

وهناك بعض الخلافات في التذكير والتأنيث، جاء في المجالس يقال للرجل زوج وللمرأة زوج ومن أهل الحجاز من يقول زوجة، وفلانه زوجة فلان. ورأيت الأصمعي كأنه أنكره، فأنشدته قول ذي الرمه، وقد كان قرىء عليه شعر ذي الرمه فلم ينكره:

أذو زوجةٍ في الْمِصْرِ أم لِخُصومَةٍ
أراكَ لَهَا بالبَصْرَةِ الْعَامَ ثَاوِيَا

فقال: ذو الرمه طالما أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين، وقد قرأنا عليه قبل هذا لأفصح الناس فلم ينكره.

فَبَكى بَنَاتِي شَجْوَهُنَّ وَزَوْجَتِي والطَامِعُونَ إليَّ ثُمَّ تَصدَّعُوا

وقال آخر:

مِن مَنْزِلي قَدْ أَخْرَجَتْنِي زَوْجَتِي
تَهِرُّ في وجْهِي هَرِيرَ الكَلْبَةِ

وإنما لَجَّ الأصمعي لأنه كان مولعاً بأجود اللغات[4]».

---

(١) إعراب ثلاثين سورة ص ٢٣١.
(٢) سورة الضحى آية ٥.
(٣) إعراب ثلاثين سورة ص ١١٨.
(٤) مجالس العلماء ص ١٩٥، ص ١٩٦.

وذكر ابن عقيل في حديثه عن القاعدة النحوية للأسماء الستة بأنها ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء نحو: هذا أبوه وأخوه وحموها ورأيت أباه وأخاه وحماها ومررت بأبيه وأخيه وحميها وهذه هي اللغة المشهورة في هذه الثلاثة ويذكر المصنف في هذه الثلاثة لغتين أخريين[1]. ويريد ابن عقيل القاعدة النحوية.

موقف العلماء المحديثين:

عندما نقف مع المعنى الأصطلاحي لكل من كلمة ولهجة ولغة، نلحظ أن المحدثين من العلماء حاولوا أن يفرقوا بين معنى الكلمتين، أما كلمة لسان أو حرف فلم تستخدما كما جاءتا في أصول العرب اللغوية، وقد ذهب معظم من بحث في هذا الشأن إلى القول بأن المقصود باللغة هي الفصحى التي تخضع لعلامات الاعراب والصيغ الصرفيه. واللهجة هي ما تخص اللغات المحلية التي لا تخضع لعلامات الأعراب أو الصرف وتسمى العامية ولكل بلد من بلدان العرب لهجته الخاصة.

ويرى الرافعي أن العامية لغة مستحدثة لم تكن موجودة منذ القدم. وقال في هذا الشأن: «فلا سبيل إلى القول إذن بأن للعرب فصيحاً وعامياً إلا بعد فشو هذا الفساد في منطقهم منذ القرن الخامس. أما ما رواه ذلك في بادية العرب فلحن أو لغولا أكثر»[2] أما عن اللغة فقال: «إنَّ اللغات هي الشواذ والنوادر واختلاف المعاني للكلمة الواحدة»[3]. ويبدو أن المرحوم الرافعي لم يكن مطمئناً لتعريفه السابق لمعنى اللغة فقال في موضع ثان: «إنما يريدون

(١) شرح ابن عقيل ١ / ٤٩.
(٢) تاريخ آداب العرب للرافعي ١ / ٢٦٠.
(٣) تاريخ آداب العرب ١ / ١٣٥.

بلغات العرب ما كان باقياً لعهدهم في ألسنة من أخذوا عنهم من القبائل وهم أقوام يمكن حصرهم والاحاطة بلهجاتهم»[1].

أما المرحوم عبد الوهاب حموده فقد كان دقيقاً في تعريفه للغة واللهجة إذ قال: «اللهجة: أُسلوب أداء الكلمة إلى السامع مثل إطالة الفتحة والألف أو تفخيمها، ومثل تسهيل الهمزة أو تحقيقها فهي محصورة في جرس الألفاظ وصوت الكلمات، وكل ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها وكيفية أدائها»[2].

أما عن اللغة فقد قال: «واللغة يراد بها الألفاظ التي تدل على المعاني من أسماء وأفعال وحروف ويراد بها النحو وهو طريق تأليف الكلمات واعرابها للدلالة على المقصود وكذا يراه بها ما يتعلق باشتقاق الكلمات وتوليدها وبنية الكلمات ونسجها غير أن اللهجة قد تتميز بقليل من الخصائص التي ترجع إلى بنية الكلمات ونسجها أو معاني بعض الكلمات ودلالتها ومتى كثرت هذه الصفات، بعدت اللهجة عن أخواتها حتى تصبح اللهجة لغة قائمة بذاتها».

فكما أن اللغة تتشعب إلى لهجات كذلك اللهجة قد تستقل وتشيع وتثبت أقدامها حتى تصير لغة»[1].

وهذا آخر يقول: فالتقسيم اللهجي يرجع إلى إحساس حقيقي لدى سكان الأقليم الواحد، إحساس بأنهم يتكلمون بصورة ما ليست هي الصورة التي يسير عليها سكان الأقليم المجاور[2].

ويتحدث الدكتور عبد الرحمن أيوب عن اهتمام الباحثين بدارسة

---

(١) تاريخ آداب العرب ١ / ١٣٢.

(٢) القراءات واللهجات ص ٤.

(٣) القراءات واللهجات ص ٥.

(٤) اللغة ص ٣١٣ لفندريس ترجمة عبد الحميد الدواخلي الأنجلو مصر.

اللهجات: «الحق أن الاهتمام بدراسة اللهجات أمر حديث جاء على أثر النزعة العلمية في دارسة اللغة»[1] .ويقول في موضع ثان عن نشأة اللهجات: «أما الأصل الذي عنه نشأت اللهجات الحديثه المختلفة فهناك رأيان.

الرأي الأول:

أن هذه اللهجات نشأت نتيجة لتطور مباشر في العربية الفصحى بعد أن انتقلت إلى الأمصار الجديدة مع الإسلام وقد تأثرت الفصحى باللغات المحلية في كل منطة، فنشأت اللهجات الحديثه.

الرأي الثاني:

أما الرأي الثاني فيقرر أن العربية الفصحى لم تكن الأصل المباشر الذي تطورتعنه اللهجات الحديثة والمعروف بأن العرب لم ينتقلوا إلى البلاد المفتوحة على أثر فتحها، بل أن الذي بقي في هذه البلاد حاميات عسكرية ظلت معزولة في معسكراتها، ولم تختلط بشعوب البلاد المفتوحة إلا بقدر ما تفرضه الضرورة.

ويلاحظ القائلون بهذا الرأي أن الحامياتالعسكرية لم تكن تمثل قبيلة عربية واحدة، بل كانت خليطاً من جميع القبائل العربية وبالضرورة ينتج عن هذا الاختلاط التقاء لهجات القبائل المختلفة بين أفراد الحامية واختلاطها جميعاً بالفصحى التي كانت اللغة الرسمية للطبقة المسلحة الحاكمة، كما كانت لغة الديانة المقدسة لكل فرد من أفراد هذه القوات.

وقد كانت النتيجة أن نشأت لهجة جديدة تمثل امتزاج اللهجات العربية

(١) العربية ولهجاتها ص ١ د. عبد الرحمن أيوب معهد البحوث جامعة الدول العربية.
(٢) المصدر السابق ص ٤١، ص ٤٢ بتصرف.

القديمة جميعاً بالعربية الفصحى» ولما كان أفراد هذه الحاميات لا يستقرون في بلد ما من البلاد المفتوحة بل كان بعضهم ينتقل للغزو أو لضرورات الأمن من مصر إلى العراق مثلاً فإن هذا يعني أن تكون لهجة الجنود الجديدة واحدة تربط بين الحاميات في مختلف البلاد وهذه اللهجة الموحدة هي التي اختلطت باللغات المحلية فانتجت اللهجات العربية الحديثة وذلك بعد أن استقر الجنود في البلاد التي فتحوها.

ويرى بعض العلماء أن الفصحى ليست سوى مزيج من اللهجات[١] ويتحدث آخر عن هذه الظاهرة ويقول: «عندما تنشر لغة من اللغات على مقياس واسع تنقسم إلى لهجات متميزه فيما بينها. وكلما كانت الصلات التي تربط بين المجموعات البشرية التي تتكلم تلك اللغة واهية أو التفكك اللغوي واهياً في القدم، كانت الفوارق بين اللهجات أبين وأشد ظهوراً»[٢].

أما الأستاذ أنيس فريحة فيرى أن الأداب مقياس للتفرقة بين اللغة واللهجة ويقول: «اللغة هي التي لها أدب والحقيقة التي لا مراء فيها هي أَنَّ لا فارق جوهري بين لهجة ولغة. وإنما الفارق هو أن لهجة ما ولسبب خارجي أو لظروف خاصة تعتبر لغة قومية رسمية، بينما لهجة أخرى، ربما أفضل منها لا تعترف بها، فلو أن التوراة الألمانية مثلاً ترجمت إلى لهجة برلين لكانت لهجة برلين الألمانية الفصحى لا لهجة هانوفر»[٣].

وذكر بعد ذلك رأياً آخر قاله لغويو العرب: أَنَّ الفارق بين لهجة ولغة هو أن اللهجة في تقهقر وانحطاط لغوي من لغة فصحى[٤].

---

(١) أبحاث في اللغة العربية ص ٩٠ د. داوود عبده ص ٩٠ بتصرف.
(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ١ / ٧٧ بلا شيرط دار الفكر دمشق.
(٣) نحو عربية ميسره ص ٩١ أنيس فريحه بتصرف.
(٤) نحو عربية ميسرة ص ٩٢.

وهذا عالم يقول: «ومـع أننا الآن قد قطعنا شوطاً بعيداً في دارسة اللهجات العربية القديمة كما تصورها كتب اللغة والنحو، فإن معرفتنا لهذه اللهجات لا يمكن أن تكمل إلا إذا صحبتها دراسة مستفيضة للهجات العربية الحديثة أيضاً»[1].

الخلاصة:

عندما نقف مع الأقوال السابقة نلحظ أن مصطلح اللغة يطلق على الفصحى، ومصطلح اللهجة يطلق على العامية، وهذه الحقيقة لم تكن موجودة لدى القدماء، كما بينا في عرضنا للمصطلح اللغوي لكلمة لهجة وأغلب الظن أن القدماء وبخاصة **علماء النحو قد أطلقوا كلمة «لغة» على الفصحى خاصة، أما مصطلح اللهجة فيبدو أنه قد التصق بالعامية وقد وجدنا المبرد النحوي وهو من علماء القرن الثالث يطلق كلمة «العامة» وذلك عند حديثه عن ظاهرة نحوية غريبة وهي اتصال الهاء بحرف الجر «على» قال·** وذلك **قولك على قول العامة، عَلَيْهِي مَالٌ**[2].

وقد يلحظ الباحث والقارىء على حد سواء كثيراً من المحاولات التي ألفت بالعامية نذكر منها على سبيل المثال، محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها، ونحو عربية ميسرة وهما كتابان لأنيس فريحه والعامية والحرف العربي لشكري الخوري وقواعد اللهجة اللبنانية السورية للأب رافائيل نخلة بالفرنسية[3]» ﴿يتضح من ذلك أن أصحاب المؤلفات السابقة أرادوا بها اللهجة دون الفصحى. وحسبنا أن نكون قد ساهمنا في إيضاح هذا المفهوم المتباين عند كل من العلماء ـ قدماء ومحدثين ـ.

---

(١) مقدمة كتاب لهجة البدو في اقليم ساحل مريوط د. إبراهيم أنيس.

(٢) المقتضب ١ / ٣٧.

(٣) الجملة النحوية ص ٧١ ومن حاضر اللغة العربية ص ١٦٦ ﴾أباطيل وأسمار ص ١٤٧ والمستشرقون ١ / ١٩٣.

تاريخ اللغة الفصحى

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن لغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي أن نقف مع الظاهرة التاريخية للغة الفصحى عند العرب، والحقيقة أن العلماء السابقين حاولوا جاهدين أن يصلوا إلى تلك الحقيقة، ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة واضحة. ونحب أن نقف مع الروايات التي قيلت في هذا الشأن عسى أن نصل في نهاية المطاف إلى ما نهدف إليه.

ذهب العلماء عند حديثهم عن تاريخ العربية الفصحى إلى مذاهب متباينة، ونحب أن نقسم الآراء التي قيلت في هذا الشأن إلى قسمين:

القسم الأول: موقف القدماء...

حاول القدماء أن يحددوا تاريخاً لظهور الفصحى كتابة ولغةً، وقد ذهبوا في ذلك إلى أقوال مختلفة، إذ أرجع بعضهم ذلك إلى آدم عليه السلام وآخرون إلى قبائل عربية سابقة ومنهم من حدد ظهور الفصحى بمائةٍ وخمسين سنة قبل الإسلام، ومنهم من حدد ذلك بأربعمائة سنة، وإليك تفصيلاً لأقوالهم.. قال ابن فارس: **أول من كتب الكتاب العربي هو آدم عليه السلام وذلك قبل موته بثلاث مائة سنة، كتبها في طين فلمّا أصاب الأرض الغرق، وجد كل قوم كتاباً، فكتبوه فأصاب اسماعيل. عليه السلام - الكتاب العربي وكان ابن عباس يقول: «أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام - وضعه على لفظه ومنطقة»**[1].

---

(١) الصاحبي ص ٣٤ بتصرف.

أما السيوطي فيذكر خبراً شبيهاً بالسابق مع بعض الأختلاف قال: «إنَّ آدم عليه السلام كانت لغته في الجنة العربية، فلما عصا سلبه الله العربية فتكلم بالسريانية فلما تاب لله رَدَّ عليه العربية».

ويقول ابن سلام: «أول من تكلم العربية ونسي لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما»[1].

وهذا المسعودي يقول: «وكان من تكلم العربية يعرب وجرهم وعاد وعبيل وجديس وشمول[2]. أما تاريخ الفصحى كتابةً فذهب العلماء مذاهب متباينة وقد اعتبروا كتابةَ الشعر الجاهلي بداية تاريخية لكتابة الفصحى.

يقول ابن سلام: «إنَّ المهلهل بن ربيعةَ هو أول من قصد القصائد، وذكر الوقائع»[3]ويقول الجاحظ[4]: أما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة.

ويقول ثعلب: «إنَّ عمر الشعر قد يعود إلى أربعمائة سنة[5]. ويروي ثعلب عن الأصمعي قال «أول من تروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً من الشعر مهلهل»[6] وكان بين الإسلام وهؤلاء أربعمائة سنة قال: وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير.

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٩.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢ / ١٣٢ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد وانظر البداية والنهاية لابن الأثير ١ / ١٨٤ لمعرفة أسماء القبائل العربية.

(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٢٣.

(٤) الحيوان ١ / ٧٤.

(٥) مجالس ثعلب ٢ / ٤١٢.

(٦) مجالس ثعلب ٢ / ٤١١.

موقف المحدثين:

لم يصل العلماء المحدثون إلى معرفة التاريخ التي كتبت بها الفصحى وشأنهم في ذلك شأن القدماء، وقد حاولوا جاهدين معرفة ذلك رغم الحفريات وبعض النقوش التي وجدت في أماكن مختلفة من الوطن العربي، إلا أنهم لم يصلوا إلى الحقيقة. . . وإليك بعضاً من آرائهم. تساءل د. طه حسين عن أصل لغة قريش وقال: «ولكن ما أصل لغة قريش؟ وكيف نشأت؟ وكيف تطورت في لفظها ومادتها وآدابها حتى انتهت إلى هذا الشكل الذي نراه في القرآن. كل هذه مسائل لا سبيل إلى الإجابة عليها الآن، فنحن لا نعرف أكثر من أن هذه اللغة لغة سامية تتصل بهذه اللغات الكثيرة التي كانت شائعة في هذا القسم من آسيا، ونحن نكاد نيأس من الوصول في يوم من الأيام إلى تاريخ علمي محقق لهذه اللغة قبل ظهور الإسلام»[١].

وذكر الدكتور جواد على رأيه حول هذا الموضوع، قال: «وتبين من دارسة النصوص الجاهلية أن العرب كانوا يدونون قبل الإسلام بقلم ظهر في اليمن بصورة خاصة وهو القلم الذي أطلق عليه أهل الأخبار القلم المسند أو قلم حمير[٢]».

أما ما يخص النقوش العربية، وما قيل حولها فإن القول في هذا الشأن ما زال غامضاً، وقد أظهرت نقوش القرن الثالث الميلادي والرابع الميلادي عدم فائدتها. إذ لم تعط صورة واضحة عن طريقة الكتابة والخط العربي باستثناء نقش واحد فقط كشف في مدفن امرىء القيس بن عمرو ملك العرب في النمارة، وهي من أعمال حوران وتاريخه يعود إلى ٣٢٨ ميلاديه. ويقول الدكتور ناصر الدين الأسد: «ولهذا النقش قيمة كبيرة في بحث تاريخ الكتابة

---

(١) من تاريخ الأدب العربي مج ١ / ١٢١.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام مج ٨ / ١٥٣ بتصرف.

العربية، وذلك أن كثيراً من كلماته بل ربما كانت جميع كلماته، ذات صورة تشبه شبهاً كبيراً صورة الخط العربي الإسلامي»[1].

والحقيقة أن الغموض يلوح في ثنايا هذه القضية ويعترف الدكتور ناصر الدين الأسد ثانية بغموض الموضوع.

ويقول في هذا الشأن: «ولكن لا بد لنا أن نعترف اعترافاً وأضحاً لا لبس فيه، أن كل دارسة لموضوع الكتابة في العصر الجاهلي ستبقى دراسة مبتورة ناقصة ما دامت رمال الجزيرة العربية تضن بهذه الكنوز التي ترقد في بطونها»[2].

وهذا الدكتور عبد الرحمن أيوب يقول حول هذا الموضوع: «يواجه الباحث في تاريخ العربية الفصحى غموض مظلم فليس بين يديه من الآثار العربية سوى الأدب الجاهلي والقرآن والتراث اللغوي المتأخر عنهما وبعض النقوش القليله التي وجدت متناثرة في شبه الجزيرة مثل نقش «النمارة» الذي عثر عليه شرق جبل الدروز بالقرب من دمشق ونقش زبد بالقرب من نهر الفرات».

وهذه النقوش لا تحتوي إلا على كلمات عربية متناثرة لا يمكن أن تلقي ضوءاً كافياً على أصل العربية»[3].

ويقول في موضع ثان: «وخلاصة الأمر أنه ليس ثمة دليل قاطع على الموطن الأول للعربية الفصحى. وكل ما تلاحظه في جزيرة العرب في عصر سابق على العصر الجاهلي المعروف لغة موحدة قيل بها الشعر، وكانت

---

(٧) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص ٣٠ بتصرف.
(٢) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص ٣٠.
(٣) العربية ولهجاتها ص ٣٩ معهد البحوث.

موضع الاعتزاز والاعتبار من جميع سكان الجزيرة. وهذا صعب المنال[1].

ويعقب الدكتور جواد علي على نقش أم الجمال وإذا صح أن الكتابة المعروفة ب «أم الجمال» الثانية هي كتابة جاهليه أصيله تكون أول نص يمكن أن نعتبره بحق وحقيقة من النصوص المدونة بلغة القرآن والشعر الجاهلي، ويرجع العلماء الذين درسوا تاريخه إلى أواخر القرن السادس للميلاد[2]».

وقد تحدث الدكتور عبد الرؤ وف مخلوف عن هذه الظاهرة وذكر رأي ابن رشيق صاحب العمدة الذي يقول: «أول من قصد القصيد مهلهل وامـرؤ القيس. . وإن بينهما وبين مجيء الإسلام مائة ونيّفاً وخمسين سنة»[3].

ويستعرض الدكتور مخلوف هذه المسألة ويرى أن شاعراً اسمه لقيط الأيادي صاحب أطول قصيدة قديمة أسبق من المهلهل. وعاش لقيط الأيادي في عصر سابور بن هرمز الذي كان يخلع عن الأسرى أكتافهم فسمى من ذلك اليوم سابور ذا الأكتاف الذي عين ملكاً سنة ٣٠٩ م.

ويخطىء الدكتور مخلوف صاحبه «ابن رشيق» ويقول: «وعلى هذا تكون رواية ابن رشيق التي تقدمت عن ابن سلام غير ذات صواب[4]». ثم يبرر الدكتور مخلوف هذا الخطأ فيقول: «أما عن ابن رشيق فإني عاذره أن مشى في ركاب الرواة حين تعرضوا لهذه المشكلة :ندقيقة ولم يقم بتمحيصها، لأن ذلك لم يكن هدفاً له في كتابه، أو أنه رآها بحثاً من بحوث الشعر التي تتصل بتاريخه أكثر مما تتصل بنقده، على أنه احتاط حين روي ما فبرأ نفسه من

---

(١) العربية ولهجاتها ص ٢١.
(٢) المفصل في تاريخ العرب مج ٨ / ٢٤٩.
(٣) ابن رشيق ص ٢٤٦ بتصرف.
(٤) ابن رشيق ص ٢٤٦ - ٢٤٧ بتصرف.

التبعة[1].

وقد غلا بعض الباحثين في هذا الشأن وقال: يستمد عمر الشعر الجاهلي أكثر من سبعة قرون قبل الإسلام[2]. وتحدث عن هذه المسألة المستشرق سير جارلز ليال قال: «ومن هذا يتضح أن هؤلاء العلماء ـ وهم أقرب منا إلى تلك الفترة لم يتمكنوا من رصد نشأة الشعر الجاهلي رصداً علمياً يمكن الاطمئنان إليه نظراً لانعدام الوسائل العلمية التي تمكنهم من ذلك كالحفريات بالاضافة إلى أن قدراً كبيراً من الشعر قد ضاع قبل أن يتمكن العلماء من تقييده».

والخلاصة:

عندما ما نقف مع الآراء السابقة نلحظ أن العلماء ـ قدماء ومحدثين لم يصلوا إلى تاريخ ثابت لظهور الفصحى كتابةً ولغةً. وقد تباينوا في ذلك تبايناً ملحوظاً وكان بين التواريخ التي ذكروها بون شاسع. أما رأينا في هذا الشأن فهو أننا لم نستطع أن نقطع في هذه المسألة سلباً أو ايجاباً وستبقى هذه المسألة حبيسة التاريخ حتى تظهر بعض النقوش أو الدلائل التي تساعدنا على إبراز هذه الحقيقة.

لغات العرب ووحدتها

تحدث العلماء قدماء ومحدثون حول لغات العرب قبل الإسلام. وقد تباينوا في ذلك تبايناً شاسعاً فمنهم من ذهب مذهباً معتدلاً ومنهم من غلا في

---

(٢) ابن رشيق ص ٢٤٨.

(٢) الأسس المبتكرة في الشعر الجاهلي ص ١١٦ تأليف عبد العزيز مزروع نقلاً عن ابن رشيق ص ٢٤٨.

(٣) مجلة كلية الآداب جامعة الكويت عدد ١٢ / ١١١ ترجمة الدكتور عبد الله المهنا.

رأيه غلواً كاد يبعده عن الصواب. أما الخلافات التي قامت بينهم فكانت محصورة في اتجاهين فقط.

الاتجاه الأول: حول اللغة التي سادت قبل نزول القرآن وكتب بها الشعر الجاهلي والقرآن الكريم.

الاتجاه الثاني: إلى أي مدى كانت هذه الخلافات وما طبيعتها. ؟ ونحب في هذا الشأن أن نقف مع هذه المسألة الشائكة لالقاء الضوء حولها. ونحب أن نشير إلى حقيقة ثابته وهي أن الفصحى هي التي سادت قبل الإسلام بفترة زمينة غير محددة تاريخياً على أكثر الآراء.

الحقيقة أن الأقوال حول الفصحى التي سادت ودون بها الشعر الجاهلي ونزل بها القرآن متباينة، فهناك رأيان: يرى الأول أن الفصحى التي سادت هي لغة قريش والرأي الثاني يرى أصحابه أن الفصحى التي سادت قبل الإسلام هي مزيج من لغات القبائل العربية المختلفة. أما فصاحة قريش فلم ينكرها أحد قط.

قال ابن فارس: إن قريش أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات نَحَائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب(١) وحاول بعض العلماء أن يعمم الفصاحة على أكثر من قبيلة وحصرها في لغات سبعة قيل: إن لغات العرب أكثر من سبعة، وأجيب بأن المراد أفصحها فجاء عن ابن صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع

(١) الصاحبي ص ٥٢.

لغات منها خمسة بلغة العجز من هوازن قال: والعجز سعد بن بكر، وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف وهؤلاء كلهم من هوازن ويقال لهم عليا هوازن ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم[1].

الرأي الأول: يرى هؤلاء العلماء أن الفصحى التي سادت قبل الإسلام هي لغة قريش وهي التي كتب بها الشعر الجاهلي ونزل بها القرآن الكريم وذكروا: «أنزل القرآن، أولاً بلغة قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم أُبيحَ للعربِ أن يقرؤه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والاعراب، ولم يُكَلَّفُ أحد منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أُخرى للمشقة ولما كان فيهم من الحمية، ولطلب تسهيل فهم المراد[2].

ذكر العسقلاني تحت باب: «نزل القرآن بلسان قريش والعرب» في رواية عن أبي داوود قال: «إنَّ عمر كتب إلى ابن مسعود، أن القرآن نزل بلسان قريش فاقرىء الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل، وأما عطف العرب عليه فمن عطف العام على الخاص، لأن قريش من العرب[3].

وتحدث الرافعي عن ذلك وقال: «ولا يسع المتأصل في الأدوار التي تعاقبت على قريش في تهذيبها اللغة، إلا أن يستلم للدهشة ويحار في أمر هذا التعاقب، فإنَّه كالسلم المدرجة تنتهي الدرجة منها إلى درجة على نمط متناسق من الرقي إنْ لَمْ يكن عجيباً في تاريخ أمة متحضرة، فهو عجيب خصوصاً في تاريخ العرب، ولا سيما إذا اعتبرنا مبدأ تلك النهضة وأنها لا

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ١ / ٤٧ والبرهان في علوم القرآن ١ / ٢٨٣ بتصرف.

(٢) الاتقان ١ / ٤٧ ونحوه البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٨٣ . قال الزركشي: «المعروف أنه بلغة قريش».

(٣)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ / ٧، ٨ ط بيروت.

تتجاوز مائة سنة».

قبل الهجرة إلى مائة وخمسين على الأكثر، فلا بد من التسليم بأنها حادثة كونية من خوارق النظام الطبيعي ظهرت نتيجتها بعد ذلك في نزول القرآن الكريم بلغة قريش[1].

يقول الدكتور طه حسين: «والواقع أن لدينا نصوصاً صحيحة تمثل لغتين مختلفتين كانتا شائعتين في بلاد العرب، أحداهما لغة الجنوب التي أشرنا إليها واثبتنا بعض نصوصها والثانية لغة الشمال وأقدم النصوص الصحيحة التي عندنا من هذه اللغة والتي لا تقبل صحتها شكاً ولا ريبه إنما هو القرآن الكريم، فنحن مضطرون أمام هذا الاجماع من جهة، وأمام قرشية النبي من جهة أخرى، وأمام نزول القرآن في قريش في جهة ثالثة، وأمام فهم قريش للفظ القرآن من غير مشقة ولا عنف من جهة رابعة، وأمام اتفاق القرآن في اللغة واللهجة مع ما صح من حديث النبي القرشي ومن الرواية عن أصحاب القرشين من جهة خامسة إلى أن نسلم بأن لغة القرآن إنما هي لغة قريش»[2].

ويقول الأستاذ عبد الوهاب حموده في هذا الشأن: «والأرجح في نظرنا أن اللغة التي نزل بها القرآن هي اللغة النموذجية الأدبية الذائعة حين نزوله والتي قسم لها أن تستوفي شروط الغلبة والفصاحة وهي التي قيل بها الشعر والنثر الجاهلي أساس تلك اللغة هي لجهة قريش أو كما تسمى اللجهة الحجازية»[3].

ويقول الدكتور حسن عون: «ومنذ نهضت قبيلة قريش في أرض الحجاز

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي ١ / ٨٦

(٢) من تاريخ الأدب العربي ج ١ / ١١٩.

(٣) القراءات واللهجات ص ٣٠ والعربية ولهجاتها ص ٤٠ وما بعدها.

وبدأت تسود غيرها من القبائل، وتترعمها في الدين والسياسة والاقتصاد أخذت لهجتها كذلك تسود اللهجات الأخرى وتتغلب عليها[1]».

الرأي الثاني: أما أصحاب هذا الرأي فهم يرون أن اللغة التي سادت هي مزيج من لغات القبائل العربية انصهرت جميعها في لغة واحدة كما أن القرآن الكريم لم يحدد لغته بلهجة قبيلة معينة بل قال إنها عربية فقط. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلَوْنَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾[2] وقال القاضي أبو بكر الباقلاني[3]: «نزل القرآن بلسان قريش أي معظمه وأنه لم تقم دلالة قاطعة على أن جميعه بلسان قريش» فإن ظاهر قوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربياً﴾ أنه نزل بجميع ألسنة العرب ومن زعم أنه أراد مضر دون ربيعة أو هما دون اليمن أو قريشاً دون غيرهم فعليه البيان لأن اسم العرب يتناول الجميع تناولاً واحداً وقد حاول العالم الجليل أحمد بن فارس أن يوضح هذه المسألة وننقل ما قاله تفصيلاً[4].

«باب القول في اللغة التي نزل بها القرآن»

وأنه ليس في كتاب الله ـ جل ثناؤه ـ شيء يغير لغة العرب، حدثنا أبو الحسن على بن إبراهيم القطان قال: حدثنا علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد

---

(١) اللغة والنحو ص ٤٢ بتصرف وانظر العربية ولهجاتها ص ٤١ وما بعدها.
(٢) سورة يوسف آية رقم ١٢.
(١) سورة الشعراء ١٩٣ ـ ١٩٥.
(٢) فتح الباري ٩ / ٨.
(٣) الصاحبي ٥٧ / ٦٢.

عن شيخ له أنه سمع الكلبي يحدث عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف أو قال سبع لغات، منها خمسٌ بلغة العجز من هوازن، وهم الذين يقال لهم عليا هوازن وهي خمس قبائل أو أربع منها سعد بن بكر وجُشَم بن بكر ونَصْر بن معاوية وثقيف. قال أبو عبيد وأحسب أفصحَ هؤلاء بني سعد بن بكر وذلك لقول رسول الله ﷺ «أنا أفصح العرب مَيْدَ أني من قريش وأني نشأت في بني سعد بن بكر» وكان مسترضعاً فيهم وهم الذين قال فيهم أو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم. وعن عبد الله بن مسعود أنه كان يستحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مُضر وقال عُمَر: لا يُمليَنَّ في مصاحفنا إلا غلمان قريش وَثَقيف».

وقال عثمان: «اجعلوا المُمَلي من هُذَيل والكاتب من ثَقيف» قال أبو عبيد: «فهذا ما جاء في لغات مضر وقد جاءت لغات لأهل اليمن في القرآن معروفة، منها قوله ـ جل ثناؤه ـ «مُتكئينَ فيها على الأرائكِ﴾.

حدثنا أبو الحسن علي بن. . . . . قال: حدثنا هُشَيْمُ قال: أخبرنا عن الحسن قال: كنا لا ندري ما الأرائك حتى لقينا رجلاً من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها سرير قال أبو عبيد: وحدثنا الفزاري عن نُعَيم بن بسَّطام عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم في قوله ـ جل وعز ـ ﴿ولو ألقى معاذيرهُ﴾ قال سُتُورَه. وأهل اليمن يسمون الستر المِعْذار وزعم الكسائي عن القاسم بن معن في قوله ـ جل وعز ـ ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّة﴾.

إنها لغة لأزد شنـؤة وهم من اليمن. ويروى مرفوعاً أن القرآن نزل على لغة الكعبين : كعب بن لؤي وكعب بن عمرو هو أبو خُزاعة. فأما قولنا إنه ليس في كتاب الله تعالى شيء بغير لغة العرب فلقوله تعالى : ﴿إناجعلناه قُرْآنًا عربياً﴾ وقال : ﴿وما أرْسَلْنا من رَسُولٍ إلا بلسانِ قَوْمِهِ﴾ وقال الله تعالى : ﴿بلسانٍ عَرَبِيٍّ مبين﴾ قال ابن عباس : «ما أرسل الله ـ جل وعز ـ من نبي إلا بلسان قومه وبعث الله محمداً ﷺ بلسان العرب» وادعى ناس ان في القرآن ما

ليس لغة العرب حتى ذكروا لغة الروم والقِبط والنَّبط. فحدثني أبو الحسين محمد ابن هارون قال: «أخبرنا علي بن عبد العزيز عن علي بن المغيره الأثرم قال: قال ابو عبيدة: «إنما أنزل القرآن بلسانٍ عربيٍّ مبين، فمن زعم ان فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومِن زعم ان كنا[1] بالنبطيه فقد أكبر القول. قال: وقد يوافق اللفظ اللفظ ويفارقه ومعناهما واحد وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية او غيرها قال: فمن ذلك: الاسبترق بالعربية وهو الغليظ من الديباج وهو استبره بالفارسية. قال وأهل مكة يسمون المسح الذي يجعل فيه اصحاب الطعام البُرّ البَلاس وهو بالفارسية بَلاس فأمالوها وأعربوها فقاربت الفارسية العربي في اللفظ والمعنى.

ثم ذكر أبو عبيده البالغاء وهي الأكارع. وذكر القمنجر الذي يصلح القِسي وذكر الدِّست والدَّشت والخِيم والسَّخت ثم قال: وذلك كله من لغات العرب وإن وافقه في لفظه ومعناه شيء من غير لغاتهم وهذا كما قاله أبو عبيدة وقول سائر أهل اللغة إنه دخل في كلام العرب ما ليس من لغاتهم فعلى هذا التأويل الذي تأوله أبو عبيده فأما أبو عبيد القاسم بن سلام فأخبر نُعْمِيّ بن إبراهيم عن علي ابن عبد العزيز عن أبي عبيد قال: أما لغات العجم في القرآن فإنَّ الناس اختلفوا فيها، فروى عن ابن عَبَّاس وعن مُجاهد وابن جُبير وعِكْرَمة وعَطاء وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة إنها بلغات العجم منها: طه والميمّ والطُّور والربانيون فيقال إنها بالسريانية ومنها الصرّاط والقِسْطاس والفِرْدَوس يقال إنها بالرومية ومنها قوله «كمشكاة وكفلَيْن من رحمته يقال إنها بالحبشيه وقوله: ﴿هَيْتَ لك﴾ يقال إنها بالحورانية قال: فهذا قول أهل العلم من الفقهاء. قال: وزعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء وأنه كله بلسان عربي يتأولون. قوله -جل ثناؤه- ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ وقوله:

(١) بقول محقق الصاحبي إنه وجد هذه الكلمة في المخطوطات التي اعتمد عليها وهذه الكلمة غير واردة في القرآن الكريم إلا إذا كان مراده أكنان جمع «كن» الصاحبي ص ٥٩ هامش الكتاب وبذلك تكون من قوله تعالى ﴿من الجبال أكنانا﴾ سورة النحل ١٦ بتصرف.

﴿بلسانٍ عربيٍّ مبين﴾.

قال أبو عبيد: «والصواب من ذلك عندي ـ والله أعلم ـ مذهب فيه تصديق القولين جميعاً وذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال عجمية فهو صادق، قال: وإنما فسرنا هذا لئلا يُقْدم أحدٌ على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله ـ جل ثناؤه ـ بغير ما أراده الله ـ جل وعز ـ وهم كانوا أعلم بالتأويل وأشد تعظيماً للقرآن.

قال أحمد بن فارس: «وليس كل من خالف قائلاً في مقالته فقد نسبه إلى الجهل، وذلك أن الصدد الأول اختلفوا في تأويل أيٍ من القرآن فخالف بعضهم بعضا ثم خلفِ من بعدهم من خلف فأخذ بعضهم بقول وأخذ بعضٌ بقول. حَسَبَ اجتهادهم وما دلتهم الدلالة عليه. فالقول إذا ما قاله أبو عبيده وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره فإن قال قائل: فما تأويل قول أبي عبيدة: «فقد أعظم وأكبر» قيل له: تأويله أنه أتى بأمر عظيم وكبير وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم أن العرب إنما عجزت عن الاتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها وفي ذلك ما فيه».

وإذا كان كذا فلا وجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية لأن الفارسية ترجمة غير معجزة، وإنما أمر الله جل ثناؤه ـ بقراءة القرآن العربي المعجز ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسية لكانت كتب التفسير والمصنفات في معاني القرآن باللفظ العربي أولى بجواز الصلاة بها وهذا لا يقوله أحد[1].

---

(١) الصاحبي ص ٥٧، ٥٨، ٥٩ وما بعدها..

وقد سار في هذا الاتجاه كثير من العلماء العرب وبعض المستشرقين. قال الزركشي: «إن فيه من كل لغات العرب[1]. قال ابن خلدون: «فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداتهوتراكيبه»[2]. قال الدكتور داود عبده: «إن اللغة الفصحى لم تكن لهجة محكية واحده وإنما كانت مزيجاً من لهجات محكية»[3].

وهذا المستشرق جويدييقول: «إنَّ اللغة الفصحى هي مزيج من لهجات تكلم بها أهل نجد والمناطق المجاورة لها».

ورأى نيلنو «أن العربية الفصحى تولدت من إحدى اللهجات النجدية وتهذبت في مملكة كِنْده، وفي أيامها وأصبحت اللغة الأدبية السائدة، وذهب آخرون إلى أن العربية الفصحى، هي لهجة أعراب نجد واليمامه غير أن الشعراء أدخلوا عليها تغييرات متعددة»[4].

والحقيقة أننا نميل مع القائلين بهذا الرأي. وهو أن الفصحى التي سادت هي مزيج من لغات القبائل العربية. كما نقرر أن الفصحى لم تكن وقفاً على قريش وحدها، بل كانت لغة العرب جميعاً. أما القائلون بأن لغة قريش سادت لأسباب سياسية وتجارية، فهذا رأي في حاجة إلى تعديل إذ ثبت يقينا أن الظاهرتين السابقتين لم تكونا في مكة وحدها حيث مراكز التجارة والسياسة لم

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٨٤ ط الحلبي.
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٧٨٥ ط بيروت، وانظر في تاريخ القبائل العربية مثلاً: مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٨٨، ١٣٢ والبداية والنهاية لابن الأثير ١ / ١٨٤.
(٣) أبحاث في اللغة ٩٤ داود عبده ط بيروت ١٩٧٣.
(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام مج ٨ / ٦٢٧ بتصرف وما بعدها جواد علي.

تكن وقفاً على مكة وحدها[1]. أما اجابتنا عن الشق الثاني من السؤال فهو يدور حول مدى الخلافات في طبيعة اللغة الفصحى، والحقيقة أن الخلافات كما ذكرها الرواة كانت خلافات طفيفة ولتوضيح ما نذهب إليه نحب أن نقف مع الأقوال الآتية:

باب القول في اختلاف لغات العرب[2].. اختلاف لغات العرب من وجوه: أحدها: الاختلاف في الحركات كقولنا: نَسْتعين ونِسْتعين بفتح النون وكسرها. قال الفراء: «هي مفتوحة في لغة قيس وأسد، وغيرهم يقولونها بكسر النون» والآخر: الاختلاف في الحركة والسكون مثل قولهم: «مَعَكم مَعْكم». أنشد الفراء: (وافر).

وَمَنْ يَتَقِ فإنَّ اللهَ مَعْهُ ورِزْقُ اللهِ مُؤتَابٌ وغادِ

ووجه آخر: وهو الاختلاف في إبدال الحروف، نحو: أولئك وألا لك أنشد الفراء: (طويل).

أُلالِكَ قَوْمِي لَمْ يكونوا أُشَابَةً وهل يَعِظُ الضّلِيّلُ إلا ألايكا[3]

ومنها قولهم: «أنَّ زيداً وعَنَّ زَيْداً» ومن ذلك الاختلاف في الهمز والتليين نحو: «مستهزؤن ومستهزون» ومنه الاختلاف في التقديم والتأخير نحو: «صاعقة وصاقعة» ومنها الاختلاف فى الحذف والإثبات نحو: «استَحْيَيْتُ واستَحَيْتُ» وَصَدَدْتُ وأصْدَدْتُ» ومنها الاختلاف حرفاً معتلاً، نحو: «أما زَيْدٌ وأيما زَيد» ومنها الاختلاف في الاماله والتفخيم في مثل: «قَضَى ورمى» فبعضهم يفخم وبعضهم يميل. ومنها الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله، فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضم فيقولون:

---

(١) القراءات واللهجات (بتصرف) ص ٣١ ونحوه اللغة والنحو ص ٤٢ وأسواق العرب في الجاهلية والإسلام ص ٢٦، ٢٧. والعربية ولهجاتها ص ٤١، ٤٢.

(٢) الصاحبي ص ٤٨ وما بعدها.

(٣) أنظر لغات العرب في «أولئك» شرح ابن عقيل ١ / ١٣٣ وقطر الندى ١ / ١٣٩.

«اشتروا الضُّلاله «واشتروا الضِّلاله» ومنها الاختلاف في التذكير والتأنيث[1] فإنَّ من العرب من يقول: «هذه البقر» ومنهم من يقول: «هذا البقر» وهذه النخيل وهذا النخيل» ومنها الاختلاف في الأدغام نحو: مهتدون ومهدون» ومنها الاختلاف في الاعراب نحو: ما زَيْد قائماً، وما زيدٌ قائمٌ وإن هذين وإن هذان وهي بالألف لغة لبني الحارث بن كعب يقولون في كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها وينشدون:

تَـزَوَّدَ مِنَّـا بَيْنَ أُذْنَـاهُ طَعْنَـةً ... دَعَتْه إلى هَابِي التُّرابِ عَقِيم

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الأعراب يقتضي أن يقال: إنَّ هذان قال: وذلك أن هذا اسم منهوك، ونُهْكُه أنه على حرفين أحدهما حرف علة، وهي الألف،وها:كلمة تنبيه ليست من الأسم في شيء فلما ثُنِّي احتيج إلى ألف التثنية، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصلية واحتيج إلى حذفٍ إحديهما فقالوا: إن حذفنا الألف الأصلية بقي الأسم على حرف واحد، وإن أسقطنا ألف التثنية كان من النون منها عِوَضٌ ودلالة على معنى التثنية، فحذفوا ألف التثنية فلما كانت الألف الباقية هي ألف الاسم واحتاجو إلى إعراب التثنية، لم يغيروا الألف عن صورتها لأن الاعراب واختلافه في التثنية والجمع إنما يقع على الحرف الذي هو علامة التثنية والجمع فتركوها على حالها في النصب والخفض قال: ومما يدل على هذا المذهب قوله جل ثناؤ ه﴿ فَذَانِك بُرْهَانَانِمن رَبِّكَ ﴾[2] لم تُحذف النون لأنه لو حذفت النون وقد أضيف، لذهب معنى التثنية أصلاً لأنه لم يكن للتثنية ها هنا علامة إلا النون وحدها فإذا حذفت أشبهت الواحد لذهاب علامة التثنية». ومنها الاختلاف في صورة الجمع نحو: «أسرى

(١) انظر المذكر والمؤنث للمبرد ص ٩٦ وما بعدها والصاحبي ص ٥٠ وفي الصرف العربي ص ٢٣٥.

(٢) القصص آية ٣٢.

وأسارى» ومنها الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو: يأمُرُكم ويأمُرْكم، وعُفِيَ وعُفْي له ومنها الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل: «هذه أُمُّه وهذه أُمُّتْ ومنها الاختلاف في الزيادة نحو: «أنظرُ وأنظور».

أنشد الفراء:

اللهُ يَعْلَمُ أنا في تَلَفّتِينا يومَ الفِراقِ إلى جيرانِنَا صُورُ
وأنَّني حَيْثُ ما يَثْنَى الهوى بَصَري من حَيْثُ مَا سَلَكُوا أَدْنُو فَأَنْظُور

وكل هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها لكن هذا موضع اختصار وهي وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كُلٌّ.

ومن الاختلاف اختلاف التضاد وذلك قول حمير للقائم: «ثِبْ أي اقعد» فحدثنا علي بن إبراهيم القطان عن المفسر عن القتيبي عن إبراهيم بن مسلم عن الزبيري عن ظمياء بنت عبد العزيز بن موألة قالت: حدثني أبي عن جدي موألة أن عامر بن الطفيل قدم على رسول الله ـ صلعم ـ فوثّبه وساده، يريد فرشه إياها وأجلسه عليها والوثاب الفراش بلغة حمير قال: وهم يسمون الملك إذا كان لا يغزو موثبان، يريدون أنه يطيل الجلوس ولا يغزو. ويقولون للرجل: ثبْ أي أجلس. وروى أن زيد بن عبد الله بن دارم وَفَدَ على بعض ملوك حمير فألفاه في متصيد له على جبل مشرف. فلسم عليه وانتسب فقال له الملك: ثِبْ أي اجلس وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل فقال: «لتجدني أيها الملك مِطْوَاعاً» ثم وثب من الجبل فَهَلَك. فقال الملك:

ما شأنه «فخبروه بقصته وغلطه في الكلمة فقال: «أما أنه ليست عندنا عربيته، من دخل ظفار حَمَّر» وظفار المدينة التي كان بها وإليها ينسب الجَزْع الظفاري أراد من دخل ظفار فليتعلم الحميرية»[1].

---

(١) الصاحبي ص ٤٨، ٤٩، ٥٠.

والحقيقة التي تبدو واضحة أن الخلافات اللغوية بين القبائل العربية لم تكن خلافات جوهرية إنما كانت خلافات طفيفة محدودة سرعان ما ذابت وانصهرت في لغة واحدة وإليك دليلاً لما نقول:

أولاً: عندما بدأ الرواة يجمعون اللغة لم يتجهوا إلى قبيلة معينة بل اتجهوا إلى بادية العرب وأخذوا عن جميع القبائل العربية الأصيلة ما عدا بعض القبائل التي خالطت غير العرب وتأثرت بشعوب غير عربية وقد ذكر السيوطي[1] ذلك تفصيلاً قال: «إن الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم أقتدى وعنهم أخذ اللسان العربي من قبائل العرب وهم: قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانه وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البوادي ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ عن لخم ولا عن جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا عن قضاعه وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم يقرأون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم القبط والفرس ولا عن أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا عن بني حنيفة وسكان اليمامة ولا عن ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا عن حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤا ينقلون لغة العرب وقد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم».

وعندما نقف مع الرواية السابقة نلحظ أن القبائل التي أخذ عنها النحاة اللغة قسمان: قسم يمثل كما كثيراً: وهم قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض

---

(1) المزهر للسيوطي ج ١ ص ٢١١، ٢١٢.

كنانة وبعض الطائيين» وقسم مرفوض إذ لم يؤخذ عنهم لأسباب المخالطة مع غير العرب.

ثانياً: موقف نحاة الكوفة:

يلحظ الدارس لأصول النحو الكوفي أن نحاة الكوفة أخذوا عن قبائل العرب كلها، ولم يستثنوا من ذلك قبيلة واحدة وإن دل ذلك على شيء إنما يدل بكل وضوح على أن الخلافات اللغوية بين القبائل العربية كانت طفيفه[1].

ثالثاً: إباحة الرسول عليه السلام بأن يقرأ القرآن على سبعة أحرف. روى عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤ ا ما تيسر منها» وفي رواية أخرى: «إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن أهون على أمتى ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة أحرف[2].

وإذا ما وقفنا مع الحديث السابق نلحظ بوضوح هدف الرسول عليه السلام وهو التخفيف على الأمة العربية لقراءة القرآن الكريم. ولو كان الفرق بين لغات العرب متبايناً كما ذهب بعض الباحثين المحدثين[3]لم يسمح النبي عليه السلام بهذا الأذن وإليك بعض الآراء التي قيلت في هذا الشأن على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الحصر.

قال ابن الجزري: «أما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على

(١) انظر تفصيلاً لذلك معجم الأدباء ١٣ / ١٩١ والاقتراح ص ١٠٠ وهمع الهوامع ١ / ٤٥ والانصاف مسائل ١ ـ ١٥.
وانظر البحث القيم تاريخ النحو وأصوله للدكتور عبد الحميد طلب وبخاصة ص ٣٩٦، ٣٩٧ وما بعدها.

(٢) النووي على مسلم ٦ / ١٠٢ القراءات واللهجات ص ٧ والمزهر ١ / ٢٥٧.

(٣) تاريخ الأدب العربي ١ /١٠٠.

هذه الأمة وارادة اليسر بها والتهوين عليها، وذلك أن الأنبياء عليهم السلا،
كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم والنبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق
أحمرها وأسودها عربيها وأعجمها. أما ابن قتيبة فقد قال في هذا الشأن: «أراد
الله أن ييسر أمر النبي عليه السلام بأن يقرأ كل أمة بلغتهم فالهذلي يقرأ: «عتى
حين يريد: حتى حين. والأسدي يقرأ: تِعلمون وتِعلم وتِسود بالكسر في
المضارع. والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز[1] وهَلَمَّ جَرّا.....

---

(١) القراءات واللهجات ص ٧ وما بعدها.

الفَصْلُ الثَّاني

تفَاوُتُ القبَائِل العَربيَّة في الفصَاحَة

تحدث بعض العلماء عن طريقة الأخذ في اللغة وتعلمها . . قال: «تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبوية وغيرهما. فهويأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات وتؤخذ تلقنا من ملقن وتؤخذ سماعاً من الرواة والثقات ذوي الصدق والأمانة ويَتَّقي المظنونُ[1].

أما الفصح والفصاحة فهما البيان، قال أئمة المعاني والبيان: حيث ذكر أهل اللغة الفصاحة. فمرادهم بها كثرة الاستعمال وإنهم قد يستعملونها مرادفة للبلاغة»[2].

وقال آخر: «الفصيح عندهم هو ما كثر استعماله في ألسنة العرب ودار في أكثر لغاتهم»[3]. ذكر العلماء أن الفصاحة في اللغة تتفاوت بين قبيلة وأخرى ولا ريب أن النحاة وعلماء اللغة قد اهتموا بهذه الظاهرة اهتماماً كبيراً واتفق معظم القدماء على أن قريشاً أفصح العرب ألسنةً وأصفاهم لغة[4].

ولم تكتف بذلك بل كانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم

---

(١) الصاحبي ٦٢.

(٢) تاج العروس مادة فصح بتصرف ودلائل الإعجاز ص ٣١، ٥٥، ٨٠ وأسرار البلاغة ص ٨ بتصرف.

(٣) تاريخ آداب العرب ١ / ١٢٦ للرافعي وأطلق بعض العلماء على الكلمة فصيحة قال: «ويقولون مكان وحش وبلد وعر ورجل سمج والأكثر الأفصح الأسكان فيهن انظر تثقيف اللسان ص ١١٦.

(٤) الصاحبي ص ٥٢.

وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائفهم الذين طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب[1]. وروى ابن جنى قال: «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة»[2] وكان الرسول[3] العظيم ﷺ يفتخر بفصاحته إذ قال: «أنا أفصح العرب ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر فأنى يأتيني اللحن».

ويبدو من الروايات السابقة أن الفصاحة لم تكن وقفاً على قريش وحدها بل كانت هناك قبائل فصيحة وقد حددها بعض العلماء بسبع قبائل.

قال أبو عبيد: «قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانه وتميم واليمن». وقال غيره: «خمس لغات في أكنان هوازن: سعد وثقيف وكنانة وهذيل وقريش ولغتان على جميع ألسنة العرب[4]. وذهب المرحوم الرافعي إلى القول بأن[5]: «أفصح القبائل الذين هم مادة اللغة فيما نص عليه الرواة: قيس، وتميم، وأسد والعجز من هوازن الذين يقال لهم عليا هوازن وهم خمس قبائل أو أربع منها سعد بن بكر، وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف وتلك القبائل كلها كانت سكن في بوادي نجد والحجاز وتهامة وقد بقيت معادن الفصاحة العربية زمناً بعد الإسلام وإليها كان يرحل الرواة»[6].

ونحب في هذا الشأن أن نشير إلى بعض الملاحظات الخاصة، وأثر

---

(١) الصاحبي ص ٥٢.

(٢) الخصائص ٢ / ١١.

(٣) الخزانة ١ / ص ٢٥ ذكر البغدادي أن الرسول عليه السلام لم يكن يتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها. وانظر معنى الفصاحة عند علماء البلاغة إعجاز القرآن ص ١٩٤.

(٤) الأضداد ص ٢٤٤ ونحوه أبو الأسود الدؤلي ص ٢٥.

(٥) القراءات واللهجات ص ٢١.

(٦) تاريخ آداب العرب للرافعي ١ / ١٢٧، ١٢٨ / بتصرف.

لغات العرب على الخلافات اللغوية وذلك على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الحصر. أما الخلافات النحوية فلها دراسة شاملة ضمن هذا البحث».

وقد ألف بعض العلماء كتباً حول هذه الظاهرة، نذكر منهم على سبيل المثال العالم المشهور «ثعلب» حيث قال في مقدمته: «هذا كتاب اختيار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس وكتبهم فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها فأخبرنا بصواب ذلك، ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك واخترنا أفصحهن، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن احداهما بأكثر من الأخرى فأخبرنا بهما وألفناه أبواباً[1]».

ومما فيه لغتان بَغْداد وبَغْدان لعاصمة العراق، والصيدلاني وصيدناني للذي يبيع العطر والعقاقير[2]. والقَلنسُوة بفتح القاف وضم السين والقلنِسية بضم القاف وكسر السين. وأساس وإساس للحائط إذا بني وفَطْحل وفُطْحل بفتح الفاء وضمها[3] وعوض الدهر مبني وفيه ثلاث لغات: عُوض وعَوض وعِوض بالضم والفتح والكسر: وأنشد:

رَضِيعي لَبَانِ ثديٍ أم تقاسما
بأسحمَ داجٍ عَوضْ لا نَتَفَرَّقُ[4]

وتقول خَاتَم وخَاتِم بكسر التاء وفتحها، وطابَع وطابِع بكسر الباء وفتحها وطابِق وطابَق[5] بكسر الباء وفتحها. والحقيقة التي لا ريب فيها والتي لا ينكرها أحد قط أن القرآن الكريم ثبت لغة العرب تثبيتاً خالداً ووحدها ومنحها

(١) فصيح ثعلب ص ٢ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجه ط (١) ١٩٤٩.
(٢) فصيح ثعلب ص ٨٣ ويقال: نهر ونهور قال أبو حاتم نهر وأنهار وهي لغة القرآن النوادر ص ٢٤٨.
(٣) فصيح ثعلب ص ٨٦ بتصرف.
(٤) زينة الفضلاء ص ٦٢ وذيل الآمالي ١ / ٢١١.
(٥) فصيح ثعلب ص ٨٧ بتصرف.

قدسية أزلية جعلها لغة الملايين من البشر، قاطعة حدود بيئتها العربية بما فيه من إعجاز[1] فكري ولغوي وبلاغي يعجز القلم أن يسطره والعقل أن يحصره، إذ قال تعالى متحدياً مادبُّ على هذه الأرض من العقول: «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ»[2].

كان الإعجاز القرآني موضع اهتمام العلماء بعد عصر النبوة وعنايتهم فألف الجاحظ كتاباً في نظم القرآن، ويرى الجاحظ الإعجاز إنما هو في النظم، وتلاه أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي المعتوبي (٣٠٦) فألف كتاباً سمّاه «إعجاز القرآن في نظمه». وقد ألف أبو عبيده (٢٠٨) كتاباً سماه «مجاز القرآن». وكذلك ابن قتيبة في كتابه «مشكل القرآن» والرماني في رسالته «النكت» في إعجاز القرآن والشاهد على ذلك أن القرآن الكريم ما زال المرجع[3] الفصيح للغة العربية أدباً ونظماً وفكراً. قال أحد العلماء: «دخلت اللغة العربية عصر البعثة في طور جديد يتميز بالطوعية والشفافية والصفاء والجمال بحيث أصبح لها تأثير السحر على العقول وعمل الفتنة في القلوب والقدرة على التسلل إلى الأعماق البعيدة في النفوس[4]. وقال آخر: «فكل ما حدث للغة فإنما مرجعه إلى القرآن الكريم وحديث النبي ويظهر ذلك استواء الحجة ووضوح المحجة وهجر الحواشي، والعدول عن سجع الكهان مع الزراية عليه والتوسع في أساليب الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والتحسين والتقبيح في وصف الجنة والنار والإكثار في سوق الحكمة وضرب المثل [5].

---

(١) انظر الباقلاني وكتابة إعجاز القرآن ص ١٧ وما بعدها.
(٢) سورة الطور آية ٣٤.
(٣) مقدمة إعجاز القرآن ص ٣١ بتصرف وانظر ص ١١ وما بعدها «إعجاز القرآن».
(٤) تطور الدرس النحوي ص ١٤.
(٥) الأدب العربي وتاريخه ١ / ٩ محمود مصطفى.

وهذا مستشرق يقول: «لم يحدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثراً في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام، ففي ذلك العهد قبل أكثر من ١٣٠٠ عام عندما رتل محمد ﷺ القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة »[١].

وكل ما ذكرناه في هذا الشأن إنما هو على سبيل الاستشهاد فقط لا على سبيل الحصر حيث أن بلاغة القرآن الكريم كنعم الخالق عز وجل لا تحصى.

وهذا الخلاف اللغوي لم يؤثر في الظاهرة النحوية مطلقاً. قال السيوطي: «قد يقع في الكلمة الواحدة لغتان نحو: الصِّرام بكسر الصاد مع التضعيف والصَّرام بفتح الصاد مع التضعيف وصرام النحل أوان إداركه. ويقال: الحِصاد ـ بكسر الحرف الأول والحَصاد بفتحه ويقع في الكلمة ثلاث لغات: الزُّجاج والزَّجاج والزِّجاج بالضم والفتح والكسر... وأربع لغات نحو: الصِّداق والصَّداق والصَّدَقة والصُّدُقة. ويكون فيها خمس لغات نحو. الشَّمال، والشَّمْل والشَّمأل والشَّيَمل والشَّمْل. ويكون في الكلمة ست لغات نحو: قُسْطاس وقِسْطاس وقُستاط وقِسَّاط وقُسَّاط»[٢].

قال ابن هشام: «الربانيون: العلماء، الفقهاء السادة واحدهم رباني، قال الشاعر:

لَوْ كُنْتُ مُرْتهناً في القومِ أَفْتَنَنِي ... مِنَّها الْكَلاَمُ وَرَّبانِيُّ أَخْبَارَ

قال ابن هشام: «القوس»: صومعة الراهب، وأفتنني لغة تميم وفتنني لغة قيس[٣]. وقد ذكر أصحاب المعاجم كماً يكاد لا يحصى عن الخلافات في

(١) العربية ص ١ يوهان فك.
(٢) المزهر ٠ / ٢٦٠ بتصرف.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٠٣.

الكلمة الواحدة نحب أن نسوق بعضاً منها على سبيل الاستشهاد ومن الكلمات التي فيها لغتان «الأب»(1) بالتخفيف والتشديد وكلمة مأدَبة بفتح الدال وضمها(2) والثابوت والثابوه قال صاحب التاج: «لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء من القرآن إلا في الثابوث فلغة قريش بالثاء ولغة الأنصار الثابوه بالهاء(3). وفي يثرب لغتان يثرب وأُثرب(4). والجباجب ومعناها الطبل في لغة اليمن وفي مكة أسواقها(5) وجذبه وجبذه على القلب في لغة تميم(6). وانظر لغات العرب في ثلج وأثلج (7) وثنتان واثنتان(8). وجزى وأجزى (9). ويوم الجمعة بفتح الميم وضمها وسكونها(10). والجُهَد(11) بضم الجيم وفتحها. والخِنَجر بفتح الخاء وكسرها(12).

وحبيته وأحبته لغتان في «حَبَّ»(13). والقَرح والقُرح بفتح القاف وضمها لغتان مما يجرح الحسد(14). وأمين وآمين بالقصر والمد(15). وهَلم بفتح الهاء وكسرها لغتان(16). وانظر مزيداً من خلافات اللغة(17)

---

(1) تاج العروس ٢ / ٦ ط الكويت.

(2) تاج العروس ٢ / ١٣ ط الكويت.

(3) تاج العروس ٢ / ٧٩ ط الكويت.

(4) تاج العروس ٢ / ٨٥.

(5) تاج العروس ٢ / ١٢٩.

(6) تاج العروس ٢ / ١٤١.

(7) المصباح المنير ١ / ٩٢.

(8) المصباح المنير ١ / ٩٥.

(9) المصباح المنير ١ / ١٠٩.

(10) لمصباح المنير ١ / ١١٨.

(11) المصباح المنير ١ / ١٢٢.

(12) المصباح المنير ١ / ١٧٦.

(13) تهذيب اللغة ٤ / ٩.

(14) تهذيب اللغة ٤ / ٣٧.

(15) إعراب القرآن المنسوب للزجاج ١ / ١٤١.

(16) إعراب القرآن المنسوب للزجاج ١ / ١٤٤.

(17) أدب الكاتب ص ٣١١، ٤٠٠، ٤١٣، ٤١٨، ٤٣٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٨.

وهناك بعض الكلمات الأعجمية اضطرت العرب إلى تعريبها وتركها كما هي: «الكوز والجره والأبريق والطشت والبستان والخوان والخز والديباج والياقوت والكعك والفلفل والكراوية والنرجس والبنفسج والمسك والعنبر و الكافور. «ومن الرومية»: الفردوس والقسطاط والسجنجل والبطاقة والقنطار والترياق.[1]

ويرى ابن جنى أن ما أعرب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجري أصول كلامها[2]. وقد أطلق العلماء على بعض اللغات «مصطلح اللغات المذمومة» وإليك طائفةً منها على سبيل الاستشهاد:

١ ـ الوكم: في لغة ربيعة وهم قوم من كلب يكسرون كاف الخطاب في الجمع متى كان قبلها ياء أو كسرة، فيقولون: عليكِم وبكِم.

٢ ـ والوهم: في لغة كلب يكسرون هاء الغيبة متى وليتها ميم الجمع مطلقاً، والفصيح أنها لا تكسر إلا إذا كان قبلها ياء أو كسرة، نحو عليهِم وبهِم «فيقولون في منهم وعنهم وبينهم: منهِم وعنهِم وبينهِم».

٣ ـ الاستنطاء: في لغة سعد بن بكر وهُذَيل والأزد وقيس والأنصار يجعلون العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء فيقولون: في «أعطى انطى» وعلى لغتهم قرىء شذوذاً ﴿إنا أنطيناك الكوثر﴾.

٤ ـ التلتلة: في بهراء، وهم بطن من تميم، وذلك أنهم يكسرون أحرف المضارعة مطلقاً.

---

(١) المزهر ١ / ١٧٦ بتصرف ونحوه المعرب من الكلام الأعجمي ص ٧٩ وما بعدها.
(٢) الخصائص ١ / ٣٥٧.
(٣)، المزهر ١ / ٢٢١ وما بعدها بتصرف والصاحبي ص ٥٣ بتصرف.. وقد أطلق عليها العلماء اللغات المذمومة «انظر المصدرين السابقين.

٥ ـ والوتم: في لغة اليمن يجعلون السين تاء فيقولون في الناس: «النات».

٦ ـ الفحفحة: في لغة هُذيل يجعلون الحاء عيناً فيقولون في مثل حلت الحياة لكل حي «علت الحياة لكل عي».

٧ ـ العنعنة: وهي لغة لقبيلة تميم إذ يقلبون الهمزة في بعض كلامهم عيناً، يقولون: «سمعت عَنَّ فلاناً قال كذا» يريدون أنَّ. وروى في حديث قيلة: «تحسبَ عَنِّى نائمة» قال أبو عبيد: «أرادت تحسب أني» وهذه لغة تميم قال ذو الرمة:

أعَنْ تَـرَسَّمْـتَ مِن خَـرْقَـاءَ مَـنْـزِلَـةً
مـاءُ الصَّبـابـة من عينيـكَ مَسْجُـوم.

أراد: «أأن» فجعل مكان الهمزة عيناً»[1].

٨ ـ الكشكشة: وهي لغة قبيلة أسد. قال ابن فارس: وأما الكشكشة التي في أسد، فقال قوم: إنهم يبدلون الكاف شيناً فيقولون: عليش بمعنى عليكِ وينشدون «طويل».

فَعَيْنَـاشِ عَيْنَـاهَـا وَجِيدُشِ جِيدُهَا
وَلَـوْنَشِ إلا أَنَّـهـا غَـيْـرُ عَـاطِـلِ

وقال آخرون: «يصلون بالكاف شيناً فيقولـون: عليكش وكذلـك الكسكسة التي في ربيعة إنما هي أن يصلوا بالكاف سيناً فيقولون عَلَيْكِس[2].

(١) الصاحبي ص ٥٣.

(٢) الصاحبي ص ٥٤ وانظر المزهر ١ / ٢٢١ وما بعدها وتاريخ آداب العرب ١ / ١٢٩ وانظر الكتاب ٤ / ١٩٩، ٢٠٠ ط هارون.

ومن الخلافات بين القبائل في الرسم الاملائي ما جاء في قول بعض الشعراء. . .

قال الشاعر:

ولَقَدْ سَئِمتُ مِن الْحَيَاةِ وَطُولِها وازْدَدْتُ مِن عَدَدِ السنين مئِينَا[1]

مِئَةٌ أَتَتْ مِن بَعْدِهَا مِئَتانِ لي وازْدَدْتُ مِن عَدَدِ الشهورِ سِنينَا

هَلْ مَا بَقَا الأكما قَدْ ماتنا؟ يَـوْمَ يَكُـرُّ وَلَيْـلَةٌ تَحْـدُونَـا

قوله بقا: يريد بقي: (وفنا يريد) فني وهما لغتان لطيء وقد تكلمت بها العرب وهما في لغة طيء أكثر قال زهير بن أبي سلمى[2].

تَـرَبَّـعَ صَـارَةً حَتَّى إذا مـا فَنَا الدُّحْـلاَنُ عَنْه والإضـاءُ.

موقف النحاة من لغات العرب: يجدر بنا أن نشير إلى أن النحاة الذين أسسوا النحو العربي فريقان: فريق ينتمي إلى البصرة وآخر ينتمي إلى الكوفة، ونحب في هذا الشأن أن نتحدث عن موقف هؤلاء النحاة من لغات العرب.

ونود أن نقرر أن كثيراً من الدرسين للنحو العربي قد اعتمدوا في دراساتهم على أقوال الرواة، ونحب أن نشير إلى أننا لا نكتفي بأقوال الرواة وحدهم بل نحاول أن نقدم دراسة واقعية لما دونه النحاة أنفسهم من آراء تخص لغات العرب.

---

(١) القياس في جمع مئة على متين أو مئات قال سيبويه:
«وأما الثلاثمائة إلى تسعمائة فكان ينبغي أن تكون في القياس مئين أو مئات» أنظر الكتاب ١ / ١٠٧ ط بولاق وانظر المقتضب ٢ / ١٧٠ وشرح المفصل ٦ / ٢٣ وظاهرة الشذوذ في النحو ص ١٨١.

(٤) طبقات فحول الشعراء ص ٢٩ «تربع يريد: أقام بها وقت الربيع ويعني حمار الوحش صارة: اسم موضع. الدُّحلان: جمع دحل ويعني البئر.

أولاً: موقف نحاة البصرة: أ: أقوال الرواة والمؤرخين ب: لغات العرب في كتب النحاة.

عندما نقف مع الأصول النحوية عند علماء البصرة ومصادرهم يتضح لنا أنهم بنوا أصولهم النحوية على مصادر محدودة ثابتة، خضعت بالضرورة إلى ظاهرتين متباينتين «لغوية وعقلية» أما اللغوية فقد خضعت لمجموعة من الشروط الصارمة كالنقل عن العرب الخلص المقطوع بعراقتهم في العروبة من سكان البوادي، والتحري والتنقيب عن الشواهد السلمية كما سنبين فيما بعد.

أما العقلية فقد خضعت للدارسة العقلية الرزينة، بعيدة عن الأهواء والنزعات تخضع للشواهد الموثوق بصحتها، كثيرة النظائر، ولها قياسات سليمة تقوم على معايير وحقائق منطقية أما مصادرهم التي بنوا عليها أصولهم النحوية فكانت كالآتي:

١ - الفصحاء من العرب.. أن النقل عن فصحاء العرب جاء من ناحيتين.

الناحية الأولى: «فصحاء البصرة».

لم يسع البصريون في بدء الأمر إلى لغة العرب كي يجمعوها، ولكن العربية جاءت إليهم غازية عقر منزلهم. فقد روى «أن مجموعة من القبائل العربية تقدر بحوالي ١٩٢ قبيلة قد استوطنت البصرة[١] في بدء نشأتها، وقد حافظت هذه القبائل على عادتها ولغتها.

وقد وصف المرحوم أحمد أمين هذه القبائل[٢] قال: وكانوا أشبه

(١) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة د. صالح العلي ص ١٨٢.
(٢) فجر الإسلام أحمد أمين ص ١٨٦.

برؤساء القبائل في الجاهلية في السيادة على قبائلهم، والتفاف الناس حولهم والخضوع لاشارتهم في السلم والحرب، ووقوف الشعراء ببابهم يتغنون بمدحهم، وينشدون مفاخرهم كالأحنف بن قيس سيد تميم البصرة، والحكم ابن المنذر ابن الجارود سيد عبد القيس البصرة، ومالك بن مسبع سيد بكر البصرة، وقتيبة بن مسلم قيس البصرة.

ولم تكن القبائل وحدها مصدراً للأصالة اللغوية بل نجد أيضاً بعض العوامل التي ساعدت على نشر اللغة والفصاحة بين الناس، كسوق المربد الذي جلب إليه فصحاء العرب من كل حدب وصوب.

وقد زعم بعض المباحثين أن المربد قد سدت مسد عكاظ الجاهلية، وقال في ذلك[1] «ولكن سوقاً واحدة نشأت في الإسلام، احتفظت بكثير من خصائص الجاهلية، وزادت عليها مميزات واسعة أسبغتها الحضارة الجديدة، واقتضتها حاجات الرقي الحديث، تلك هي سوق المربد في البصرة».

كما يرى أيضاً أن المربد قد أثر على مكانة سوق عكاظ، وتفوق عليه أدبياً وعلمياً، وقال: «حتى إذا أنشىء المربد، استمر أمر عكاظ على التناقض وأخذ مربد البصرة يحل مكانها وقيم رسالتها في الأدب والشعر، وأصبح مرتاد العلوم والأدب والنحو واللغة والأخبار والنوادر. يأخذون عن أعرابه الذين لم تخالطهم لوثة العجمة ما يجعلون منه مادة علمهم وينبوع ثقافتهم[2]. وقد أشار القدماء إلى الصفاء اللغوي عند البصريين ولذلك نرى ابن سلام

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ص ٣٦٤.
(٢) المصدر السابق ص ٢٠٩.

يقول[1]: «وكان لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية». وقد روى صاحب الأغاني قولاً لبشار يؤيد ذلك الرأي قال[2]: «ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه وأنه ليس في شعرك ما يشك فيه: قال ومن أين يأتيني الخطأ ولدت ههنا، ونشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم وأينعت، فأبديت، إلى أن أدركت فمن أين يأتيني الخطأ؟».

ويتضح لنا من شهادة ابن سلام وقول بشار أنه كان لدى البصريين بيئة لغوية صافية، لم تتأثر بالدخلاء الذين وطنوا تلك المنطقة، ولا ريب أن البصريين قد استعانوا بتلك الثروة اللغوية في بناء أصولهم.

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه في هذا الشأن هو القرار الذي اتخذه المجمع اللغوي في القاهرة بشأن المحاكاة والنقل عن العرب إذ قرر[3] «أن العرب الذين يوثق بعربيتهم، ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار، إلى نهاية القرن الثاني، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع».

الناحية الثانية: فصحاء البادية: لم يكتف البصريون بالأخذ عن فصحاء مصرهم، بل قاموا ينهلون اللغة من ينابيعها الصافية، حيث بدأوا رحلات علمية تذهب إلى البادية، وقد بدأت تلك الرحلات في النصف الثاني من القرن الثاني،

---

(١) طبقات الشعراء ابن سلام ص ١٢.
(٢) الأغاني ج ٣ / ص ٥٠ مكتبة الحياة بيروت.
(٣) مجلة المجمع اللغوي ج ١ ص ٢٠٢ ط. القاهرة نقلاً عن بحث الأستاذ عباس حسن «اللغة والنحو» ص ٢٤ ط. دار المعارف.

ونلحظ أن الذين قاموا بتلك الرحلات لم يكونوا من الرواة فحسب بل كان بعضهم من علماء النحو، كيونس بن حبيب، وأبي عمرو بن العلاء، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الاهتمام المتزايد لدى علماء البصرة.

وقد روى أنهم لم يأخذوا عن الأعراب الذين جاءوا المدن، فاستبعدوا كثيراً من لغات القبائل المجاورة لليمن ومصر والشام والعراق والسواحل العربية المطلة على الخليج العربي المحاذية لإيران.

وقد أشار السيوطي[1] كما يبدو إلى ظاهرة الأخذ عن العرب تفصيلاً وذكر: أن أبا نصر الفارابي قال في كتابة المسمى «بالألفاظ والحروف»: «أن الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم أقتدى وعنهم أخذ اللسان العربي من قبائل العرب وهم: قيس، وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم أتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البوادي ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم، الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا عن لخم ولا عن جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا عن قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم القبط والفرس، ولا عن أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا عن بني حنيفة وسكان اليمامة ولا عن ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا عن حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة الغرب وقد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنهم».

---

(١) المزهر ١ / ٢١١، ٢١١ والاقتراح ص ٥٦، ٥٧ ط السعادة مصر.

ونتيجة ذلك الرفض والقبول في اللغة، نلحظ أن البصريين قد رفضوا كثيراً من أقوال العرب وأبوا الا أن يأخذوا عن أفصح القبائل وأبعدها تأثراً عن المدينة، والذين سكنوا أواسط بلاد العرب. فقد علل بعض العلماء ظاهرة الرفض والقبول بقوله[1]: «أن السبب في ترك الأخذ عن أهل المدر ما عرض للغاتهم من الاختلال والفساد والخطل. ولو علم أن أهل المدينة باقون على فصاحتهم ولم يتعرض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر، وكذلك لو نشأ في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يرد عنها.

٢ ـ لغات العرب في كتب النحاة:

نحاول في هذه الدراسة أن نقدم نماذج نحوية للبصريين من خلال كتابين لأشهر شيوخهم، وهما: «الكتاب لسيبويه» «والمقتضب للمبرد» وهذان الكتابان يعتبران بحق الأصول الحقيقية لنشأة النحو العربي وتطوره ونضوجه من الناحية الواقعية وليس ذلك عند البصريين فحسب بل عند النحاة كافةً، ونود أن نبين في هذه الدراسة طريقة سيبويه والمبرد في الأخذ عن القبائل العربية وأثر ذلك في بناء قياسهم وصرحهم النحوي وكل ما نقدمه في هذا الشأن هو ما قام على القياس فقط. ونحب أن نقدم احصائية تقريبية لأشهر القبائل التي ذكرها سيبويه في كتابة مع بعض الآراء النحوية: ـ

ذكر بني تميم «٦٨» مرة[2] وأهل الحجاز «٥٤» مرة[3] وأسد «١٦» مرة[4]

(١) الخصائص ٢ / ٥.
(٢) الكتاب ٥ / ١٩٨ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.
(٣) الكتاب ٥ / ١٩٧، ١٩٨.
(٤) الكتاب ٥ / ١٩٧.

وأهل المدينة «٨» مرات [١] وأهل مكة «٧» مرات[٢] وبكر بن وائل «٦» مرات[٣] وبني سُليم «٦» مرات[٤] وفزارة «٦» مرات[٥] وهُذَيل «٦» مرات[٦] وطيء «٥» مرات [٧] وأهل الكوفة «٤» مرات[٨] .

أما فصاحة القبائل العربية فيبدو أن سيبويه كان مهتما بلغة الحجاز فهو يراها أفصح اللغات وكان يصفها بأنها اللغة القديمة الجيدة[٩] كما وصف مجموعة من اللغات القبيحة[١٠] والقبيحة جداً[١١] كما ذكر مزيداً من المصطلحات التي تخص اللغة[١٢] ونحب أن نقرر أن هذه الشواهد التي نقدمها إنما نجيء بها على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الحصر. شواهد سيبويه على لغة أهل الحجاز: ـ.

١ ـ وزلزلوا حتى يقول الرسول:

استشهد سيبويه على رفع «يقول» بعد حتى قال سيبويه» وبلغنا أن مجاهداً قرأ هذه الآية: «وزلزلوا حتى يقول الرسول[١٣] وهي قراءة أهل الحجاز»[١٤] .

---

(١) الكتاب ٥ / ١٩٨.
(٢) الكتاب ٥ / ١٩٨.
(٣) الكتاب ٥ / ١٩٨.
(٤) الكتاب ٥ / ٢٠٠.
(٥) الكتاب ٥ / ٥٠١.
(٦) الكتاب ٥ / ٢٠٣.
(٧) الكتاب ٥ / ٢٠٠.
(٨) الكتاب ٥ / ١٩٨.
(٩) الكتاب ٢ / ٤٠، ٤١، ٤٢٤ ط بولاق.
(١٠) الكتاب ١ / ٦٨، ١١٦، ١٤٩ ط بولاق.
(١١) الكتاب ١ / ٢١٦ ط بولاق.
(١٢) الكتاب ١ / ٤١ ط بولاق.
(١٣) ظاهرة الشذوذ في النحو العربي ص ١٥٩، و ١٦٠.
(١٤) سورة البقرة آية «٢١٤».

٢ ـ ما هذا بشراً[١] .

استشهد سيبويه بما الحجازية التي تعمل عمل ليس ومثل ذلك قوله عز وجل: «ما هذا بشراً» في لغة أهل الحجاز ونحوه: «ما عبد الله أخاك وما زيد منطلقاً»[٢] .

ومن شواهد سيبويه على لغة بني تميم.

١ ـ ما التميمية: استشهد سيبويه على أن «ما» حرف نفي غير عاملة. قال سيبويه «وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أم وهل[٣]. نحو قوله تعالى: «ما هذا بشرٌ».

٢ ـ الكشكشة: قال سيبويه: «فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد فأنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين نحو: «انش ذاهبة»، «ومالش ذاهبة» يريد إنك ومالك[٤].

٣ ـ تسكين حرف الوسط من الثلاثي للاستخفاف: قال سيبويه في باب ما يسكن وسطه استخفافاً، وهو في الأصل متحرك، وذلك قولهم: في فَخِذُ: فَخْذٌ، وفي: كَبِدٌ كَبْدٌ وفي: عَضِدٌ عَضْدٌ وفي الرَّجُل رَجْلٌ وفي كَرُمُ الرَّجُلُ كَرْمَ .... وهي لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بني تميم[٥]». وقالوا في

---

(١) الكتاب ١ / ٤١٧ ط بولاق وفهرس شواهد سيبويه ص ٧.

(٢) سورة يوسف الآية «٣١».

(٣) الكتاب ١ / ٢٨ ط بولاق استشهد سيبويه من حيث الكم القرآني ب ٤١٣ آية غيرالمكرر ظاهرة الشذوذ ص ١٠٤.

(٤) الكتاب ١ / ٢٨ ط بولاق.

(٥) الكتاب ٤ / ١٩٩ تحقيق هارون «أسندتُ هذه اللغة لبني تميم لأنها لغة أكثرهم.

(٦)الكتاب ٤ / ١١٣ ط هارون اعتبرنا هذه اللغة لبني تميم لأن سيبويه قال: «وأناس كثير من بني تميم».

مثل: «لم يُحْرَمَ مَنْ فُصْدَ له» وقال أبو النجم: «لَوْ عُصْرَ منه ألْبَانُ والمِسْكُ انْعَصَرْ[1]». يريدُ عُصِرَ.

٤ ـ نصب المصدر المعرف بال: قال سيبويه: «ومن العرب من ينصب بالألف واللام من ذلك قولك»: الحمدَ لله «فينصبها عامة بني تميم وناس من العرب كثير[2]».

٥ ـ مجيء الحال مصدراً بعد أمَّا: وذلك نحو قولك: «أما علماً فعالم» قال سيبويه: «وقد يرفع هذا في لغة بني تميم والنصب في لغتها أحسن لأنهم يتوهمون الحال فأن أدخلت الألف واللام، رفعوا، لأنه يمتنع من أن يكون حالاً: نحو قولك: «أما العلمُ فعالم» كأنه قال: «فأنا أو فهو عالم به»[3].

من شواهد سيبويه على لغات أخرى:

١ ـ عدم فك الادغام في المضعف عند اسناده لضمائر الرفع المتحركة، قال سيبويه: وأهل الحجاز وغيرهم مجتمعون على أنهم يقولون للنساء: ارددن وزعم الخليل أن ناساً من بكر بن وائل يقولون: رَدَّنَ وَمَدَّنَ جعلوه بمنزلة رَدَّ وَمدَّ[4] أي لا يفك الأدغام عند إسناده لضمائر الرفع المتحركة.

٢ ـ النصب على الشتم: قال سيبويه: «وسألت الخليل عن قوله وهو لرجل من بني أسد:

إنَّ بـهَـا أَكْـتَـلَ أو رِزَامـا   خُـوَيْرِبَيْـن يَنْقِفان الْهَـامَـا

---

(١) الكتاب ٤ / ١١٤ يضرب هذا المثل لمن طلب أمراً فنال بعضه.

(٢) الكتاب ١ / ٣٢٩ ط هارون.

(٣) الكتاب ١ / ٣٨٥، ٣٨٦.

(٤) الكتاب ٣ / ٥٣٤، ٥٣٥ ط هارون بتصرف.

فزعم أن خوير بين انتصبا على الشتم، ولو كان على أنَّ لقال: خويرباً، ولكنه انتصب على الشتم كما انتصب حمالةَ الحطبِ[1].

٣ ـ حذف الفعل وبقاء الأثر:

قال سيبويه: وحدثنا بعض العرب أن رجلاً من بني أسد قال يَومَ جَبَلَة واستقبله بَعَيرٌ أَعْورُ، فتطير منه فقال: يا بني أسد: أعورَ وذا نَابٍ، فلم يرد أن يسترشدهم ليخبروه عن عوره وصحته، ولكنه نبههم. كأنه قال: «أتستقبلون أعورَ وذَا نَابٍ[2].

٤ ـ بدل الفعل من الفعل: ـ

قال سيبويه: «أنشدنيهما الأصمعي عن أبي عمرو لبعض بني أسد:

إنْ يَبْخَلُوا أَوْ يَجْبُنُوا ... أو يَغْدِروا لا يَحْفِلوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ ... كأنَّهم لَمْ يَفْعَلُوا

فقوله يغدوا بدل من لا يحفلوا وغدوهم مُرجلين يفسر أنهم لا يحفلوا[3]».

٥ ـ كسر الكاف إذا وقعت في محل جر:

قال سيبويه: «وقال ناس من بكر بن وائل: من أَحلامِكِم وبِكِم شبهها بالهاء لأنها علم إضمار وقد وقعت بعد الكسرة، فاتبع الكسرة الكسرة حيث كانت حرف إضمار سمعنا أهل هذه اللغة يقولون: قال الحطيئة:

---

(١) الكتاب ٢ / ١٤٩، ١٥٠ أكتل ورزام لصان كانا يقطعان الطريق بأرمام، والخويرب مصغر خارب وهو اللص أو سارق الأبل خاصة، والهام جمع هامة وهي الرأس، ينقفان الهام: يستخرجان الدماغ والمخ وهذا مثل ضربه لحذقهما بالسرقة واستخراجهما لأخفي الأشياء.

(٢) الكتاب ١ / ٣٤٣ ط هارون.

(٣) الكتاب ٣ / ٨٧ ط هارون.

وإنْ قَـالَ مَـوْلَاهُمْ عَلَى جُـلِّ حَـادِثٍ
من الدَّهْرِ رُدُّوا فَضْلَ أَحلامِكُمْ رُدُّوا[1].

٦ ـ نصب المفعولين بعد الفعل: قال:

قال سيبويه: «وزعم أبو الخطاب ـ وسألته عنه غير مره ـ أنَّ ناساً من العرب يوثق بعربيتهم وهم بنو سُليم يجعلون باب قلت أجمع مثل ظننت»، وعليه قول الشاعر:

أجُـهْـآلاً تَقُـولُ بَـنِي لُـؤَيٍّ لَعَمْرُ أَبِيكَ أَمْ مُتَجَـاهِلِينَا[2].

* * *

«القسم الثاني:

شواهد المبرّد من كتاب المقتضب

نود أن نشير في هذا الشأن إلى أن المبرد لم يشر إلى أسماء القبائل العربية حين استشهد بلغاتها إلا ما ندر نحو ـ أهل الحجاز[3].

وكان يسند القاعدة التي يريد إثباتها إلى قوله: «أقوال العرب أو العرب تقول، أو ما شابه ذلك وإليك بعضاً من شواهده..

١ ـ زيادة كان:

---

(١) الكتاب ٤ / ١٩٧ ط هارون بتصرف.
(٢) الكتاب ١ / ١٢٣ ط هارون وما بعدها بتصرف.
(٣) المقتضب ١ / ٣٧.

استشهد المبرد على أن «كان» قد تزاد في قول بعض العرب، قال المبرد وذلك: «كقول بعض العرب» ولدت فاطمة بنت الخُرْشُب الكَمَلَة من بني عبس لم يوجد كان مثلهُم وقوله:

فكيف إذا مررت بدار قوم   وجيران لنا كانوا كراما

٢ ـ إعمال المصدر بصيغة فَعُول ومِفْعَال.

قال المبرد: «ومن كلام العرب» إنه ضَرَوُبٌ رؤ وسَ الدارعين «ومن كَلَام العرب» إنه لَمِنْحارٌ بَوَائِكَهَا»[1].

كما سمع عن العرب أن المصدر يرفع فاعلاً:

قال المبرد: «أعجبكَ ضَرْبُ زيدٌ عمراً، إذا كان زيد فاعلاً، وضَرْب زيدٍ عمرو» إذا كان زيد مفعولاً. ونحوه قال الشاعر:

أفنى تِلادِي وَمَا جَمَّعْتُ مِن نَشَبٍ
قَرْعُ القَوَادِيز أَفْواهُ الأباريقِ[2].

استشهد بكلام العرب على عمل صيغة المبالغة «فَعَّال».

أَخَا الْحَرّبَ لِبَّاساً إليّها جَلَالَها
وَلَيْسَ بِوَلَّاجِ الْخَوالِفِ أَعْقَلا.

فهذا ينصب المفعول كما ينصبه «فاعل» لأنك إنما تريد به ما تريد بفاعل إلا أن هذا أكثر مبالغة ألا تراه يقول: «لَبَّاسَاً إليهَا جَلَالَهَا»، ومن كلام العرب»

(١) المقتضب ٢ / ١١٤.

(٢) المقتضب ١ / ٢١ بتصرف وانظر الخزانة ٢ / ٢٨٢، مغني اللبيب ٢ / ١٢٣.

أمَّا الْعَسَلَ فَأَنْتَ شَرَّاب[1]

٣ ـ ضم الهاء الواقعة بعد واو أو ياء ساكنتين:

قال المبرد «فإن كانت هذِه الهاء بعد، واو، أو ياء ساكنتين أو ألف ـ فالذي يُختار حذف حرف اللين بعدها، تقول: عليهِ مالٌ يا فتى بكسر الهاء من أجل الياء التي قبلها كما فعلت ذلك الكسرة ومن لزم اللغة الحجازية قال: عليهُ مالٌ[2].

٤ ـ جمع بعض الكلمات:

ذهب المبرد إلى القول بأن في رِشْوة لغتين فتقول: «رِشْوات بكسر الراء وَرُشوات بضمها». وفي ظاهرة الجمع ما كان عينه واواً أو ياء قال: «فأما ما كانت الياء والواو منه في موضع العين فإن فيه اختلافاً أما الأقيس والأكثر في لغات جميع العرب فأن تقول في بيضة بَيضات وفي جوزة جَوْزات وفي لوزةَ لَوْزات وأما هُذَيل بن مدركة خاصةً، فيقولون جَوَزات وبَيَضات ولَوَزات على منهاج غير المعتل[3].

٥ ـ لغة في الاثنين:

إن الاثنين هو اسم من أسماء أيام الأسبوع عند العرب، وهو لا يهمز إلا في الضرورة[4] الشعرية وقد ذكر المبرد أن للعرب فيه لغةً أخرى.

قال المبرد: «ومن العرب من يجعله اسماً لليوم على غير معنى العدد

---

(١) المقتضب ٢ / ١١٣، ١١٤ بتّصرف.

(٢) المقتضب ١ / ٣٧.

(٣) الصحاح «اثنين».

(٤) المقتضب ٢ / ١٩٣.

فيقول: اليومَ الأثن كما يقول الأبن واليوم الثني وليس ذلك بجيد[1].

٦ ـ لغة في: نِعْمَ وذلك تسكين العين:

قال: وقد يقول بعضهم: نَعْمَ، وكل ذلك جائز حسن إذا أثرتَ استعماله.. قال الشاعر:

فَفِداءٌ لبَنِي قَيْسٍ عَلَى ... ما أَصَابَ الناسَ من سُوءٍ وَضُرّ
ما أَقَلَّتْ قَدَمِي أَنَهُمْ ... نَعِمَ الساعون في الأمر المُبر[2]

موقف الكوفيين من لغات العرب:

أولًا: أقوال الرواة:

ذهب معظم الراوة إلى القول بأن الكوفيين قد اعتمدوا في بناء أصولهم النحوية على لغات العرب ولكن الحقيقة كما يبدو من الروايات أن الكوفيين قد توسعوا في الأخذ عن القبائل العربية بخلاف البصريين الذين أخذوا أصولهم عن قبائل معينة وأولى رحلات الكوفيين في الأخذ عن الأعراب هي رحلة الكسائي إلى البادية والتي قيل إنه أنفذ فيها خمس عشرة قنينة حبر سوى ما حفظ[3]. وكذلك نرى الفراء يأخذ عن أعراب من الحطمة أن وثق بهم. قال أبو الطيب اللغوي: «إنَّ الفراء قد أخذ علمه عن الكسائي وهو عمدته ثم أخذ عن أعراب وثق بهم مثل أبي الجراح وأبي ثروان وغيرهما وأخذ نبذاً عن يونس وأهل الكوفة يدعون أنه استكثر منه، وأهل البصرة يدفعون ذلك[4] وقد

(١) المقتضب ٢ / ٩٢.
(٢) المقتضب ٢ / ١٤٠ بتصرف.
(٣) مراتب النحويين ص ٨٦ نحوه معجم الأدباء ١ / ١٦٩.
(٤) المصدر السابق ص ٨٦.

أخذ عن أبي زياد الكلابي[(١)].

ولذا نرى الرياشي البصري يقول مفتخراً: «إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب وأكلة البرابيع وهؤلاء يعني الكوفيين، أخذوا اللغة من أهل السواد، أكلة الكواميخ والشواريز[(٢)]. وذكر الشيخ محمد الطنطاوي طريقة الكوفيين في الأخذ عن العرب قال: «استمعوا من الأعراب الثاوين بالكوفة وقد كانوا أقل عدداً وأضعف فصاحةً ممن كانوا بالبصرة، وإن كان منهم لفيف من بني أسد وغيرهم إلا أن أغلبهم العمانيون وأهل اليمن في عين التمحيص ممن لا يستند إليهم لاختلاطهم الحبشة والهند والتجار الذين يفدون إليهم من مختلف الأمصار[(٣)].

ولكننا في الحقيقة نلحظ أن بعض العلماء قد غلا في وصفه لطريقة الكوفيين في الأخذ عن القبائل العربية. قال السيوطي: «لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه[(٤)]. وقال في موضع ثان: «إذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادر كلام جعلوه باباً[(٥)]».

وإذا ما وقفنا مع روايات السيوطي السابقة، نلحظ أن السيوطي قد غلا في ذلك غلواً شديداً لأن شيوخ الكوفيين لم يذهبوا كما روي السيوطي، وإليك بعضاً من آرائهم التي رفضوها وذكروا أنها شاذة.. ونذكر على سبيل الاستشهاد طائفةً من الآراء التي رفضها شيخان من أعظم شيوخهم وهما الفراء وثعلب.

---

(١) المصدر السابق ص ٨٦.

(٢) الفهرست ص ٨٦.

(٣) نشأة النحو ص ١١٧.

(٤) الاقتراح ص ١٠٠.

(٥) همع الهوامع ١ / ٤٥.

ونحب في هذا الشأن أن نقدم طائفةً من آراء الفراء التي رفضها لشذوذها وهي تثبت في الوقت ذاته غُلُـوَّ الأقوال السابقة. . .

١ ـ اتصال الضمائر بكاف التشبيه:

ذكر الفراء صراحة شذوذ اتصال الضمائر بكاف التشبيه نحو «أناكه»، وأنت كي» قال الفراء: «وحكى عن الحسن البصري «أنا كك وأنت كي» واستعمال هذا في حالة السعة شذوذاً لا يلتفت إليه[1]».

٢ ـ اقتران خبر عسى بأن:

عقب الفراء على قول العرب «عسى الغوير أبؤساً» قال: عسى لا يقاس ولا تجوز إلا مع «أن»[2].

٣ ـ أيشٍ عندك.

رفض الفراء هذا الأسلوب الاستفهامي مع أنه صحيح في القياس وقال: «لا يجوز القياس على هذه في شيء من الكلام[3].

٤ ـ كِلا عند بني كنانة:

رفض الفراء قول بني كنانة في «كلا» حيث يكتبونها «كلى» بألف مقصورة على شكل الياء. قال: «بني كنانة من العرب إذ يقولون في كلا: رأيت كلي الرجلين ومررت بكلي الرجلين وهي قبيحة قليلة»[4]. والقليل شاذ وانظر آراء الفراء في رفضه للشذوذ ومن ضمنها بعض القراءات[5].

---

(١) خزانة الأدب ٤ / ٢٧٥ تحقيق هارون.
(٢) مجالس ثعلب ١ / ٢٥١.
(٣) معاني القرآن ١ / ٢٨١.
(٤) معاني القرآن ٢ / ١٨٤.
(٥) ظاهرة الشذوذ ص ٣٩٦.

طائقة من آراء ثعلب التي رفضها لشذوذها:

١ ـ عسى الغوير أبؤسا:

قال ثعلب: «عسى زيد قائماً لم يجيء إلا في قوله: «عسى الغوير أبؤساً وهو شاذ [١].

٢ ـ الأضمار بأن:

قال ثعلب: «الأضمار بأن» شاذ نحو: «خذ اللص قبل يأخذك» قال هذا شاذ وقال: «خد اللص قبل يأخذك» بالرفع القياس وأنشد:

ألا أيُّهذا الزاجريُّ أحضرَ الوَغَى
وإنْ أَشْهَدَ اللذاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

ويروي «أحضرُ» بالرفع قال: «الرفع القياس» [٢].

٣ ـ قراءة الآية: ﴿في عَمِدٍ ممدده» بالفتح شاذ:

قال ثعلب في قراءة الآية الكريمة «في عَمَدٍ مَمَدَّدَةٍ﴾ في «عُمُد» بضم العين والميم وهو القياس وَعمَدٍ بالفتح شاذ [٣].

موقف النحاة الكوفيين من لغات العرب:

نحب في هذا الشأن أن نشير بشيء من الإيجاز إلى موقف شيوخ الكوفة من لغات العرب.

(أ) طائفة من آراء للسكائي في لغات العرب.

(١) مجالس ثعلب ١ / ٣٠٧.
(٢) مجالس ثعلب ١ / ٣١٧.
(٣) مجالس ثعلب ١ / ٣٢٥.

١ ـ العطف على اسم إنَّ قبل الاتيان بالخبر: قال القراء: «وسمع الكسائي بعض العرب يقول: «إنَّ عادّ وتبع أمتان[١].

٢ ـ التعدي واللزوم في الفعلين «شكرو كفر».

قال الفراء:﴿وقوله: «كفروا ربهم﴾[٢]جاء في التفسير كفروا نعمة ربهم والعرب تقول: كفرتك وكفرت بك وشكرتك وشكرت بك وشكرت لك قال الكسائي سمعت العرب تقول: «شكرت بالله كقوله كفرت بالله»[٣].

٣ ـ مجيء «ما» فاعلاً لِنِعْمَ أَوْ بِئْسَ:

ذهب الكسائي إلى القول بأن «ما» قد تكون فاعلاً لبئس نحو: «بئس ما صنعت» ونفي الفراء ذلك وقال: «لا تعرف جهته[٤]. وقال في موضع ثان: أرادت العرب أن تجعل ما بمنزلة الرجل حرفاً تاماً ثم أضمروا لضعف «ما» كأنه قال بئس ما صنعت، فهذا قوله وأنا لا أجيزه[٥].

٤ ـ حذف نون المثنى دون إضافة:

أجاز الكسائي حذف نون المثني في حالة الرفع نحو: قام الزيدا بغير نون، قال أبو حيان: ، ويشهد له ما سمع: «بيضك ثنتا»[٦].

(ب) طائفة من آراء الفراء في لغات العرب:

١ ـ نداء ابن مضافة إلى ياء المتكلم:

---

(١) معاني القرآن ٢ / ١٩.
(٢) سورة هود آية ٦٨.
(٣) معاني القرآن ٢ / ٢٠.
(٤) معاني القرآن ١ / ٥٧.
(٥) معاني القرآن ١ / ٥٧.
(٦) همع الهوامع ١ / ٥٠.

ذكر الفراء أن فيها لغتين، قال: قوله يا بنيَّ ويا بنيٍّ لغتان [1].

٢ ـ قراءة قوله تعالى: ﴿وقالت هَيْتَ لَكَ﴾ [2]. قال الفراء: «إنها لغة لأهل حوران سقطت إلى مكة فتكلموا بها. وأهل المدينة يقرؤ ن: هِيتَ بكسر الهاء ولا يهمزون. وذكر عن علي بن أبي طالب وابن عباس أنهما قرآ: ﴿هئت لك﴾ يراد بها تهيأت لك. وقد قال الشاعر:

إنَّ الْـعِـرَاقَ وأَهْـلَهُ سَلْمٌ عَلَيْـكَ فَـهَيْـتَ هَيْـتَـا

أي هَلُمَّ [3].

٣ ـ ما الحجازية:

تحدث الفراء عن ما عند أهل الحجاز، فهي عندهم عامله عمل ليس نحو قوله تعالى: ﴿ما هذا بشراً﴾ أما أهل نجد فلا تعمل عندهم، قال الفراء: وانشدني بعضهم:

لَشَتْـانَ مَـا أَنْـوِي وَيَنْـوِي بَنُـو أَبِـي
جميعـاً فَمَـا هَـذَانِ مُـسْتَـوِيَـانِ [4].

٤ ـ كلتا:

ذهب الفراء إلى القول بأن بعض العرب تفرد كلتا قال: «وقد تفرد العرب إحدى كلتا وهم يذهبون بإفرادها إلى تثنيتها. أنشدني بعضهم:

فـي كِلْتَ رِجْـلَيْـهَـا سُـلاَمَـى وَاحِـدَةٌ
كِـلْتَـاهُـمَـا مَـقْـرُونَـةٌ بِـزَائِـدَه

---

(١) معاني القرآن ٢ / ٣٥.
(٢) سورة يوسف آية ٢٣.
(٣) معاني القرآن ٢ / ٤٠.
(٤) معاني القرآن ٢ / ٤٢ بتصرف.

يريد بكلت كلتا. . .[1].

(جـ) طائفة من آراء ثعلب في لغات العرب:

١ ـ الأسماء الستة:

تحدث ثعلب عن لغات العرب في الأسماء الستة قال: «ويقال: هذا أبك وهذا أباك وهذا أبوك، ثلاث لغات فمن قال: «أبك، قال: هذان أباك، أب وأبان، ويجوز فيه أبوان. ومن قال: أباك وأبوك فتثنيتهما واحدة: أبوان. وأنشد:

سِوَى أَبِكَ الأَدْنَى وإنَّ محمداً　　عَلاَ كُلَّ عَالٍ يا بنَ عَمِّ مُحَمدِ[2]

٢ ـ «إما» أو إيَّما.

ذكر ثعلب أن لغة أخرى في إمـا قد سمعت عن العرب قال: قد حقب المطر عن هذه البلاد حتى هلكت، إذا لم تمطر وقال: «يا راكباً إيَّما عرضت» يريد إمّا عَرَضْتَ وقال بعضهم: «يا راكباً أَما عَرَضْتَ ففتح»[3].

٣ ـ «سوف».

ذكر ثعلب أن في سوف عدة لغات وقال: «سوف يكون ذاك، وسف يكون، وسيكون، وســو يفعل وسوف يفعل»[4].

٤ ـ خبر «عسى».

تحدث ثعلب عن خبر عسى إذا كان اسماً نحو: «عسى زيدٌ قائماً» قال: لم يجيء إلا في قوله: «عَسَى الغُوَيْرُ أبؤساً». قال، قال الفراء: «عسى لا يقاس ولا يستحسنها ولا يجيزها إلا مع «أن».

---

(١) معاني القرآن ٢ / ١٤٢.
(٢) مجالس ثعلب ج ٢ / ٤٠٠.
(٣) مجالس ثعالب ٢ / ٤٨٨
(٤) مجالس ثعلب ١ / ٣١٥.

الفصل الثالث

الظاهرة التاريخية

١ ـ القبائل التي نسبت إليهم اللغات.

يجدر بنا أن نتحدث في هذا الشأن عن القبائل العربية التي نسب النحاة هذه اللغات إليهم، ونحب أن نبين أننا سرنا في ترتيبنا لأسماء القبائل طبقاً لذكرها في المتون النحوية.

وهي كما يلي: قبيلةأزد شنؤة، إحدى القبائل العربية التي سكنت بالبر الشرقي من صعيد مصر قرب ترعة شريفة[١] وبني طيىء إذا كانت منازلهم في اليمن ثم سكنوا الحجاز في جوار بني أسد، ومنهم بطون سكنت بمصر[٢]. وبني الحارث بن كعب، ويقال في النسب إليهم «بلحارث» شذوذاً[٣] وهم بطن من تميم القحطانية[٤] وكذلك بني العنبر، ويقال في النسب إليهم بلعنير شذوذاً[٥]. وهم بطن من يربوع، ومن هؤلاء سجاح بنت أوس التي إدعت النبوة في زمن مسيلمة الكذاب[٦]، وبني الهجيم وهم بطن من بطون تميم القبيلة العربية المشهورة[٧]. وبكر بن وائل وهي بطن من ربيعة وتقع ديارهم

---

(١) نهاية الأرب ص ٣٠٨.

(٢) المصدر السابق ٣٢٦.

(٣) الكتاب ٢ / ٤٣٠ ط بولاق ٤ / ٤٨٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

(٤) نهاية الأرب ٤٧ ـ ٤٩ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ / ٤١٤ ومج ٨ / ٥٨٩ وما بعدها.

(٥) الكتاب ٢ / ٤٣٠ ط بولاق.

(٦) نهاية الأرب ٦٨.

(٧) نهاية الأرب ص ٧٨ وجمهرة أنساب العرب ١ / ٣٠٩.

ما بين اليمامة والبحرين والعراق[١] وحمير وهي بطن من قضاعة[٢] غير أننا نلحظ أن ابن سلام الجمحي روي عنهم «وأخبرني يونس عن أبي عمر بن العلاء قال: «العرب كلها ولد إسماعيل إلا حمير وبقايا جرهم» [٣] وخثعم وقيل إنَّ موطنهم الأصلي اليمن، وقد افترقوا أيام الفتح [٤] وكنانة، وهي بطن من مُضَر، وتقع ديارهم بجهات مكة المكرمة [٥].

وقبيلة ربيعة التي تفرقت لعدة بطون، وذكر صاحب العبر أنَّ ديارهم تقع بين اليمامة والبحرين والعراق [٦] وكذلك الحال نلحظ أن قبيلة بني تميم قد تفرقت إلى عدة بطون كهذيل وطانجة [٧] وسُليم التي تنسب لقيس عيلان، وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر، وسكن بعضهم ببرقة مما يلي المغرب ويلي مصر[٨] وزَبَيد التي قسمت أو افترقت إلى عدة بطون، وكانوا حلفاء لبني ربيعة في بلاد الشام. وقيل إنهم بطن من بطون القبائل العربية التي سكنت بغوطة الشام وقيل في الجزيرة الفراتية[٩] وقبيلة غنم التي تنسب إلى قبيلة تغلب العربية[١٠] ومن القبائل التي روى عنها النحاة قبيلة هُذَيل وهي بطن من مضر، وسكنت طائفة منهم بقرب الجبل من إخميم بالديار المصرية وقبيلة عقيل وهي بطن من ربيعة[١١] وبني سعد وتنسب إلى كنانة، وهي عدة بطون،

---

(١) نهاية الأرب ٢٦١ وجمهرة أنساب = ١ / ٣٣٧.

(٢) نهاية الأرب ٣٢٨.

(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٩ وما بعدها.

(٤) نهاية الأرب ص ٢٤٣.

(٥) نهاية الأرب ٥٩، ٦٠.

(٦) نهاية الارب ٩٨ ـ ١٨٨.

(٧) نهاية الارب ٢٩٥ وانظر سكن العالية الكامل ٥٨١.

(٨) نهاية الأرب ٢٦٨، ٢٦٩ وجمهرة أنساب العرب ٨٣٦.

(٩) نهاية الأرب ١٨٧

(١٠) نهاية الأرب ٤٣٩.

(١١) نهاية الأرب ٣٦٥.

سكنت طائفة منهم بالشرقية بمصر[١] ومنهم طائفة في افريقيا[٢] وعندما نقف مع القبائل السابقة نلحظ أن نصفهم «تقريباً قد قطن خارج الجزيرة العربية واختلطت لغاتهم بمن جاورهم. من غير العرب. وإليك تفصيلاً لذلك: عدد القبائل العربية المستشهد بلغاتهم «دون البطون».

عدد القبائل ١٦ القاطنون داخل الجزيرة ٨ الراحلون عنها ٨.

ونعني بالراحلين القبائل العربية التي غادرت الجزيرة العربية واستقرت في خارجها كبلاد الشام ومصر وشمال افريقيا والعراق. ونقرر أن القبائل العربية التي هاجرت خارج الجزيرة لم تكن ذات سليقة لغوية سليمة لاختلاطهما بغير العرب من الشعوب الأخرى. والحقيقة أن هذا الرأي ليس غريباً بل ذكره نحاة متأخرون وقد ذكر سيبويه كثيراً من لغات القبائل المذمومة كما ضعف بعض اللغات التي تنسب إليها قبائل عربية أصيلة، ومن هذه القبائل «خثعم وفزارة وبكر بن وائل[٣] وقوم من ربيعة، كما وقف سيبويه موقفاً وسطاً من لغات بعض القبائل إذ لم يصفها بضعف أو فصاحة كقبيلتي بني سعد وكعب[٤].

٢ ـ القياس عند النحاة:

يجدر بنا في هذا الشأن أن نقف قليلاً مع بعض الظواهر التي تيسر للدارس العربي فهم بعض الحقائق التي تخص اللغات وهي مسألة القياس. وقد يتساءل القارىء العربي كيف وجدت هذه اللغات في متون المطولات العربية مع أن النحاة قد اختاروا لغات أفصح القبائل العربية، وقاسوا عليها

---

(١) نهاية الأرب ٢٩١.

(٢) انظر مزيداً من ذلك في: «أنساب العرب وتاريخ العرب قبل الإسلام، ١ / ٢٢ والبداية والنهاية.

(٣) الكتاب ٢ / ٢٨٧.

(٤) الشاهد النحوي ٤٧٦.

قواعدهم. ؟ الحقيقة أن النحو العربي قد وصل إلى دقة بالبحث كماً وكيفاً. وليس هذا القول غلواً جاء لعاطفةٍ قومية ـ وهذا القول في رأينا هو حق منصف يكاد يبين لكل دارس للنحو العربي خاصةً والأدب العربي والعلوم الإسلامية عامةً.

وأظن أن السبب في كتابة اللغات غير المقيسة يعود إلى القياس نفسه حيث وجد العلماء بعض اللغات التي تستعمل على نطاق ضيق لبعض القبائل العربية، ولم يستطيعوا إهمالها. وذلك لسبب بسيط وهو استعمالها على لسان قوم يعيش بينهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نلحظ أن الحث الدائب والتشجيع المستمر على تعلم العربية وفروعها لم ينقطع حتى في أسوأ العصور التي مرت على العالم العربي من ظلم وقهر، لأن علوم العربية مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بين الإنسان وخالقة، حيث نزل القرآن بلغة العرب، ومنحها قدسية فريدة، تميزت عن غيرها من لغات الأرض. وبدأ التشجيع من رسولنا العظيم محمد ﷺ، ثم تسلم هذا العبء أصحابه الأبرار، ومن تلاهم من المسلمين كحكام حيناً وعلماء في أكثر الأَحايين. ونحب أن نشير إلى السببين السابقين بشيء من الإيجاز.

ولنبدأ بالقياس لغةً، قال صاحب اللسان: قاس الشيءُ يقيسه قَيْساً وقِيَاساً واقتاسه إذا قدره على مثاله، قال:

فَهُنَّ بِالأَيْدِي مُقَيِّسَاتِهِ مُقَدِّرَاتِهِ ومُخَيِّطَاتِهِ

والمقياس المقدار، وقاس الشيء يقوسه قوساً لغة في قاسة يقيسه. ومن المعاني اللغوية لمادة «قيس» الشِّدة قال والقيس الشَّدة ومنه امرؤ القيس أي رجل الشدة، والقيس، الذكر عن كراع، قال ابن سيده: وأراه كذلك وأنشد:

دَعَاكَ اللهُ مِن قَيْسٍ بِأَفْعَى إذا نَامَ الْعُيُونُ سَرَتْ عَلَيْكَا[1]

(١) لسان العرب مادة «قيس».

التهذيب: والمقايسة تجري مجرى المقاساة التي هي معالجة الأمر الشديد، ومكابدته وكذلك الاعتدال، وروي عن أبي الدرداء أنه قال: خير نسائكم التي تدخل قيساً وتخرج ميساً، أي: تدبر في صلاح بيتها لا تخرق في مهنتها، قال ابن الأثير: يريد أنها إذا مشت قاست بعض خطاها ببعض فلم تعجل فعل الخرقاء ولم تبطىء، ولكنها تمشي مشياً وسطاً معتدلاً فكأن خطاها متساوية[1]. أما القياس في اصطلاح النحاة فهو عبارة عن رد الشيء إلى نظيره أو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، وهو معظم أدلة النحو والمعول في غالب مسائله عليه، ولهذا قيل في حدة أنه علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب[2] وقد ذكر السيوطي أقسامه وقال: «القِياس في العربية على أربعة أقسام: حمل فرع على أصل، وحمل أصل على فرع، وحمل نظير على نظير، وحمل ضد على ضد وينبغي أن يسمى الأول والثالث قياس المساوي، والثاني قياس الأولى والرابع قياس الأدون وكانت العرب تشبه شيئاً بشيء وتقيس على هذا المنوال[3].

ويتضح من العرض السابق أن القياس في اصطلاح النحاة هو حمل غير المنقول من كلام العرب على المنقول إذا كان في معناه.

وقيل عنه إنه وسيلة تمكن الإنسان من النطق بآلاف الكلمات والجمل دون أن يسمعها من قبل أو تحتاج في الوثوق من صحة عربيتها إلى مطالعة كتب اللغة أو الدواوين الجامعة لمنثور العرب ومنظومها[4].

---

(١) لسان العرب «قيس».

(٢) الاقتراح ص ٤٠.

(٣) الاقتراح ص ٤٩ ولمع الأدلة ص ٩٣ وانظر ص ٩٤، ص ٩٥، ص ٩٦ في الرد على من أنكر القياس.

(٤) القياس في اللغة ص ٢٤ بتصرف.

يختلف القياس اختلافاً كلياً بين مذاهب النحاة، فالقياس عند نحاة البَصرة يختلف عن القياس عند نحاة الكوفة وهَلُمَّ جَرًّا، ويرجع ذلك الخلاف إلى الأسس والأصول التي بنى عليها النحويون مذاهبهم.

وقد بينت تفصيلاً الأصول التي يبني البصريون عليها نحوهم، ونحب أن نقف مع رأي غريب لبعض الباحثين فيما يخص القياس في كتاب سيبويه.

قال: «ويبدو من القياس عند السابقين وبخاصة الشيخان «الخليل وسيبويه» أنه قياس فطري لا أثر فيه للتعمق وهو مجرد مشابهة شيء بشيء، أو اعتبار هذا بذلك من غير مزج لذلك بالقضايا المنطقية أو صلة بالمسائل العقلية البحتة[1]».

وإذا وقفنا مع الرأي السابق نلحظ أن الباحث، بني رأيه على استقراء ناقص، كما يبدو لأن القياس في كتاب سيبويه كما يرى فطرياً، لا أثر فيه للتعمق والحقيقة عكس ذلك.

حيث إننا نجد كتاب سيبويه مملوءاً بالقياس الذي يقوم على استقراء الكلام العرب وما ندري ما الذي يقصده الباحث بالتعمق أهو في جمع الأساليب العربية أم في دارسة هذه الأساليب ؟

وقد أشار المرحوم أحمد أمين إلى القياس في كتاب سيبويه نسوقه أيضاحاً لما ذهبنا إليه. قال: «والكتاب مملوء بالقياس والعلل، وقد استعمله في مهارة وكثرة فهو يولد من الشيء أشياء ويعلل ويقيس[2]».

لقد عرف النحويون البصريون القياس قبل الخليل وسيبويه بفترة طويلة،

---

(١) أبو علي الفارسي ص ٢١٩.
(٢) ضحى الإسلام ج ٢ / ٢٩٢.

فهذا ابن أبي إسحاق الذي كان شديد التجريد للقياس[1]» وكان أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل وحث على تعلمه إذ يروي أن يونس بن حبيب سأله عن كلمة «السويق» وهو دقيق ناعم هل ينطقها أحد من العرب «الصويق» بالصاد فأخبره بأن قبيلة عمرو بن تميم تقولها، وقال له: «عليك بباب من النحو يطرد وينقاس»[2] ثم نما القياس عند البصريين حتى وصل الغاية على يد الخليل الذي «كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه[3]».

والحقيقة أن الخليل وسيبويه قد أقاما صرح النحو والقياس معاً، كالطود الشامخ فتهمة الضعف التي وجهت للقياس هي تهمة موجهة إلى النحو ذاته، فهي تهمة مردودة لأن النحو قام على أصول وقياس، حتى نجد النحاة المتأخرين يهتمون بالقياس، فهذا الكسائي الكوفي الذي قال:

إنما النحو قياس يتبع وبه في كل أمر ينتفع

ثم جاء النحاة المتأخرون من بصريين وكوفيين وغالوا في اهتمامهم بالقياس حتى قال أبو علي الفارسي[4]: «لأن أخطىء في خمسين مسألة مما بابه الراوية أحب إلي من أن أخطىء في مسألة واحدة قياسية» وتابعة تلميذه أبو الفتح ابن جني الذي قال[5]: «إذا بطل أن يكون النحو رواية ونقلا، وجب أن يكون قياساً وعقلاً» ومضت القرون الأربعة الأولى، والقياس هو العمود الفقري للنحو حتى قال ابن الانباري المتوفي سنة ٥٧٧ [6]: «إن إنكار القياس

---

(١) نزهة الألباء ص ٢٦ طبعة بغداد.
(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٢٠ والنحويين والبصريين ص ١٤.
(٣) أخبار النحويين البصريين ص ٣٠.
(٤) العلة النحوية ص ٧٤.
(٥) العلة النحوية ص ٧٥ والخصائص ٢ / ٨٨.
(٦) العلة النحوية ص ٧٥.

لا يتحقق لأن من أنكر القياس فقد أنكر النحو».

ثم تتطور الأمور نحو القياس حتى نرى بعض العلماء يضجون ويتذمرون من القياس وما يتعلق به من أمور، حتى غلا بعض العلماء مطالباً بالغائه[1]. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أخذ بعض الدارسين المحدثين يتضجرون أيضاً من القياس.

فهذا الدكتور إبراهيم أنيس يقول: «ولست أعرف مصطلحاً من مصطلحات الدراسة اللغوية العربية قد أسيء فهمه وأسيء استعماله بقدر ما أسيء فهم واستعمال مصطلح القياس[2].

وهذا الدكتور أحمد مكي الأنصاري يقول ناقداً القياس: «أدى ذلك إلى أن يصطبغ هذا التيار بضبغة التشدد والتزمت وتضيق الخناق على كل ناطق بالعربية مهما بلغت فصاحته طالما لم يتفق مع القياس الذي وضعوه بأيديهم».

ولم يقف الأمر عند هذا الحد من الاضطراب فيأتي المجمع اللغوي محاولاً أن يستغل طريق القياس بالمعني الذي نادى به أبو علي الفارسي لتنمية ألفاظ اللغة لأنه من أهم الطرق في هذه التنمية[3]».

وإذا وقفنا مع الآراء السابقة نلحظ أن تهمة التشدد التي وجهت للإتجاه القياسي نظرة تحتاج إلى شيء من البساطة والتعديل، لأن القياس في حد ذاته نظرة واقعية إلى ضبط اللغة وجمعها في إطار منسق وذلك أفضل من الفوضى

---

(١) الرد على النحاة ص ٨٠.

(٢) طرق تنمية الألفاظ في اللغة ص ١٥.

(٣) الموازنة بين المناهج مقال في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد ٢٤ ص ٢٠ ط ١٩٦٧.

والاضطراب التي تخضع إليه ظاهرة لغوية وبخاصة كاللغة العربية التي تعددت لهجاتها. وتشعبت فروعها. فالقياس وضع اللغة في إطار عام نسقها وهذبها تهذيباً منقطع النظير. مع أننا لا ننكر أن بعض الهفوات قد تداخلت في القياس اللغوي، وهذا الأمر في حد ذاته أمر طبيعي لا بد أن يوجد.

اهتمام الخلفاء بالنحو:

اهتم الخلفاء بعلم النحو اهتماماً بالغاً. وكان لتشجيعهم الأثر البالغ في تنميته وتثبيت أصوله ودقتها. ولم يكن اهتمام الخلفاء مستحدثاً أو طارئاً، فرضته ظروف معينة، بل كان اهتماماً طبيعياً فرضته أمور «دينية وحيوية معاً»...

وقد ظهر ذلك الإهتمام منذ الرسول عليه السلام، وذلك قبل نشأة النحو نفسه وكان ذلك الاهتمام منصباً على اللحن الذي يقع في اللغة، وقد إعتبر الرسول اللحن في اللغة ضرباً من الضلال.

وقد روي أن رجلاً لحن بحضرته فقال: «أرشدوا أخاكم فقد ضل»[1]. وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يرى أن الاسقاط في اللغة خير من الوقوع في اللحن والخطأ وقال في ذلك: «لأن[2] أقرأ فأسقط أحب إلَيَّ من أن أقرأ فألحن «ونما إهتمام الخلفاء بالنحو نمواً مطرداً حتى وصل ذلك الاهتمام في عهد عمر بن الخطاب إلى حد العقاب ومنع الراتب السنوي للملحن.

وقد روي أن كاتباً عند أبي موسى الأشعري قد أخطأ في كتابة اسم من

---

(١) مراتب النحويين ص ٥، والمزهر ٢ / ٢٤٦، والجامع الصغير للسيوطي ١ / ٣٦٣ والخصائص ٢ / ٨.

(٢) المزهر ٢ / ٢٤٦.

الأسماء الخمسة وبدلاً من جر الاسم فقد رفعه. روي أن الكاتب قال «من أبو موسى الأشعري» والصواب «من أبي موسى الأشعري» ولكن الخليفة عمر غضب لذلك الخطأ، وأرسل جواباً لأبي موسى الأشعري يقول له: «سلام[1] عليك أما بعد، فأضرب كاتبك سوطاً وأخر عطاءه سنة». وقد روي أنه أمر المسلمين رسمياً أن لا يُقرأ القرآنُ إلا عالمٌ باللغة[2]». وذلك عندما سمع بعض الأعراب يقرأ بعض الآيات القرآنية خطأ نحو «إن الله بريء من المشركين ورسولِهِ» بجر رسوله عطفاً على المشركين. وفي القراءة المجرورة لكلمة رسوله ليست خطأً نحوياً فحسب بل يعتبر كفراً وإلحاداً بالله جل شأنه.

وقد توهم القارىء أن كلمة «رسوله» معطوفة على المشركين والصواب بالفتح عطفاً على الله، « اسم إنَّ ». وتوالي الخلفاء والمسلمون ومن تبعهم الاهتمام بصحة القراءة، وقد أخذ ينمو يوماً بعد يوم، حتى جاء عصر الإمام علي الذي هَزَّه اللحن غضباً، وجعله مطرقاً مفكراً في حل لتلك المأساة التي تهدد العرب في أغلى ما يملكون، وهو القرآن الكريم [3].

فأمر أبا الأسود الدؤلي أن يعمل حلاً لتك المشكلة، وقد قبل الأمر مرحباً. وعمل أول كتاب في النحو[4]. وعندما تولى الأمويون حكم العالم الإسلامي زاد اهتمامهم بالأدب[5] وبالنحو بخاصة.

وحاولوا جاهدين المحافظة على العربية في شتى فروعها. وروي أن عبد الملك بن مروان المتوفي ٨٦ هـ قيل له: «لقد عجل إليك الشيب يا أمير

---

(١) مراتب النحويين ص ٥.
(٢) التحفة البهية والطرفة الشهية. ص ٤٩ للسيوطي طبع في القسطنطينية ١٣٠٢ هـ.
(٣) أبو الأسود الدؤلـي ونشأة النحو العربي ص ١٢٠.
(٤) انظر الفهرست لابن النديم ص ٦٩ وأنباه الرواة القفطي ج ١ / ٤.
(٥) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ناصر الدين الأسد ص ٩٧.

المؤمنين فقال: شيبني ارتقاء المنابر، وتوقع اللحن[1] ». ونلحظ أن لهذا القول دليلاً واضحاً على أهمية النحو عندهم.

وقد روي أن الحجاج بن يوسف الثقفي قد نفى النحوي عيسى بن عمر إلى خرسان لأنه لحن أمامه حيث رفع خبر كان بدلاً من نصبه[2]».

ويروي عن أبي عمرو[3] بن العلاء أنه قال: «كنت هارباً من الحجاج بن يوسف وكان يشتبه عليَّ «فَرجة» هل في بالفتح أو بالضم؟ فسمعت قائلاً يقول:

ربما تجزع النفوس من الأمـ ـر له فَرْجَةٌ كحل العقال

بفتح الفاء من «فَرْجَة» ثم قال: إلا أنه قد مات الحجاج، قال: فما كنت أدري بأيهما كنت أشد فرحاً، بقوله فَرجه أو بقوله: مات الحجاج.

ويتضح لنا من تلك الروايات السابقة أن الاهتمام بعلم النحو بلغ الغاية حتى نرى العلماء يهربون وينفون نتجية لنصب كلمة أو رفعها. ولم يكن الاهتمام محصوراً على خلفاء بني أمية فحسب بل نجد الخلفاء العباسين اهتموا بمسألة النحو، وشجعوا علمائه، وبذلوا لهم كل غال في سبيل تحسين أحوالهم.

ومما يروى أن الرشيد كان شديد الرغبة في سماع مناظرات الأدباء، وكان يعقد المجالس الخاصة[4] بهم، وقد شخص له سيبويه قاصداً بغداد، طمعاً

---

(١) البيان والتبيين ٢ / ٢١٨.

(٢) أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ١٨ وما بعدها، طبقات الزبيدي ص ٢٣، وطبقات الشعراء ص ٣.

(٣) نزهة الألباء ص ٣٢٠.

(٤) انظر مجالس العلماء للزجاجي تحقيق استاذنا عبد السلام هارون والمجالس التي تخص الرشيد فقط ص ٨، ص ١٦ ص ٤٢، ص ٢٥٥، وانظر أيضاً مجالس ثعلب القسم الثاني تحقيق استاذنا عبد السلام هارون أيضاً ص ٣٥٤.

في التقرب منه، والتودد إليه.[1] ولم يكن الاهتمام من جانب الخلفاء وحدهم، بل كان الاهتمام مشتركاً بين الجانبين «جانب الخلفاء وجانب العلماء». فقد أخلص العلماء أيما أخلاص لعلمهم. وبذلوا في سبيله كل جهد وعناء، وقد روي عن[2] الشعبي أنه قال: «لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن يسمع كلمة حكمة ما رأيت أن تعبه قد ضاع».

وإذا وقفنا قليلاً مع بعض شيوخ المدرسة البصرية تتضح لنا تلك الحقيقة وتكون خير شاهد على ما نقول: وقد يبدو على معظمهم ظاهرة التزهد والتقشف معاً.

وهذا عيسى بن عمر صاحب الجامع والإكمال في النحو، عاش فقيراً، إذ روي أنه كان يحمل في كمه[3] خرقة فيها كسر العيش، «والأجاص اليابس». وهذا الخليل بن أحمد يرفض المال والجاه، وذلك عندما طلب إليه أحد الأمراء أن يؤدب أولاده، وما كان منه إلا أن أخرج خبزاً يابساً للرسول وقال له:

«ما عندي[4] غيره، وما دمت أجده، فلا جاحة لي في سليمان[5]».

فهذا أيضاً يونس بن حبيب لم يتزوج، ولم يتيسر، ولم تكن له همةٌ إلا طلب[5] العلم ومحادثة الرجال، وكان يقول[6] /، وما أكلت في شتاء شيئاً قط

---

(١) مقدمة الكتاب لسيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ص ١٥، ص ١٧.

(٢) ضحى الإسلام ٢ / ٧٠.

(٣) أخبار النحويين البصريين ص ٢٦.

(٤) أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٣١، ومعجم الأدباء ١١ / ٧٥.

(٥) قيل إنه سليمان بن علي أمير عباسي ولي عدة ولايات لأخيه السفاح عام ١٣٣ هـ وعزله المنصور عام ١٣٩ هـ، ويقال إنه «سليمان بن حبيب بن المهلب من أرض السند: انظر النحويين البصريين ص ٣٠، ص ٣١.

(٦) الفهرست لابن النديم ص ٦٩، انظر إنباء الرواه ٢ / ٣٦٦.

(٧) الحيوان للجاحظ ج ٣ / ٤٦٩.

إلا وقد برد ولا أكلت في صيف شيئاً إلا وقد سخن».

وخلاصة ذلك أن الاهتمام الذي حظي به النحو العربي في البصرة كان إهتماماً فريداً وإيجابياً، في الوقت نفسه، وقد انعكس ذلك على أصولهم وتفكيرهم حيث غدت أصولهم مميزة أيّما تمييز، دقيقةَ الملامحِ، محدودةَ القياسِ، منطقيةَ التفكيرِ تخضعُ للعقل، بعيدةً عن الأهواء.

وبقي الاهتمام بالنحو العربي عند اللاحقين من العرب حكاماً وعلماء. وقد اهتم الكوفيون بالنحو قياساً وبناء وتأليفاً[1]. غير أن حظهم سرعان ما تهاوي واندثر مذهبهم بين ثنايا المطولات والحواشي المظلمة. ثم انتقل النحو البصري والكوفي إلى بغداد ناضجاً كامل الجوانب سليم البناء. وقد تبع هذا النحو من يحافظ على كيانه فقد لحق بهذا المذهب ممثلان عنه ـ وهما المبرد وثعلب ـ فقد كان مجيئها إلى بغداد عاملاً أساسياً في عدم ظهور المذهب البغدادي وانشغال العلماء بالعالمين وآراء المدرستين. وكل ما جاء به علماء بغداد في ميدان النحو بالذات أما أن يعود لآراء البصريين وأما أن يعود لآراء الكوفيين وأما أن يكونَ رأياً انفرادياً تفرد به صاحب المذهب الجديد، ولذا لم يلتفت لهذا الرأي الجديد وذلك الصيت القوي الذي كان يحظى به كتاب سيبويه وكتب الفراء فيما بعد. ولقد عرف البغداديون ما أطلق على كلا العالمين وآثارهما من ألقاب نحو: هل ركبت البحر؛ وقرآن النحو[2]، والفراء أمير المؤمنين في النحو[3] ولن نغالي إذ نقرر أن الاهتمام بالنحو في بغداد ما هو إلا امتداد لاهتمام البصريين والكوفيين على حد سواء.

---

(١) ظاهرة الشذوذ في النحو العربي ٢٣٨.
(٢) نزهة الألباء ص ٥٥.
(٣) نزهة الألباء ٣٨.

ولكننا في الوقت ذاته لا ننكر فضل بعض العلماء البغداديين كالفارسي وابن جني وأثرهما في تطور الدرس النحوي، اجتهاداً وتأليفاً. أما الباقون فقد تفرقت آراءهم تفرقاً شديداً إذ ذهبوا في ذلك مذاهب متباينة فمنها البصري ومنها الكوفي ومنها الجديد المستحدث، وقد يصعب على الدارس أن يلم بهذه الآراء وأمامه نحو بصري قريب إلى الكمال قياساً وبناءً[1].

وبعد ذلك يأتي دور أهل المغرب العربي، ونعني بهم «نحاة الأندلس» ولا نريد أن نسرف في حديثنا عن هؤلاء العلماء الذين أضاءوا المغرب العربي حضارةً وعلماً حتى بهرت حضارتهم أوروبا وغيرها من العالم، ونود أن نروي ما ذكره عالم فاضل عن اهتمام الأندلسيين بالعربية عامةً، «إن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني وصل الأندلس قبل ظهوره في العراق وطن المؤلف[2]. أما النحو وعلومه فكان لهما حظٌ وافرٌ ومن أشهر نحاتهم ابن خروف المتوفي ٦١٠ هـ وأبو علي الشلوبيني المتوفي ٦٤٥ هـ وابن عصفور المتوفي ٦٦٣ هـ وأبو حيان المتوفي ٧٤٥ هـ[3].

ثم جاء دور مصر والشام في بعث النهضة العلمية وذلك بعد سقوط بغداد والأندلس وهجرة العلماء إليهما، ونود أن نشير إلى عالم جليل جاء مع العلماء ألا وهو ابن مالك. . . . . . . إذ يصفه أحد العلماء البارزين بقوله: «فإن قلنا إنَّه نَظَّمَ نحو سيبويه وَوَضَّحَهْ وفَصَّلَهُ وقَرَّبه إلى الناس، وعممهُ لم نكن بعيدين عن الصواب[4].

وما كاد مالك ينشر ألفيته حتى هَبَّ كثيرٌ من علماء مصر والشام بشرحها

---

(١) ظاهرة الشذوذ في النحو العربي ٢٣٨.

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي ص ١١.

(٣) ظاهرة الشذوذ في النحو العربي ٤٢٢.

(٤) ظهر الإسلام ٢ / ٩٤.

إعجاباً وتقديراً، ووضع العلماء الشروحَ والحواشي حتى نجد ابن هشام النحوي المصري يعجب بها ويشرحها في كتابه المشهور «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» ثم يصفها قائلاً: «كتاب صَغُرَ حَجْماً وغَزْرَ عِلْماً» وتوالى بعد ذلك شراح الألفية فهذا أبو الحسن علي نور الدين يضع شرحاً لهذه الألفية «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك التي أطلق عليه فيما بعد «شرح الأشموني» نسبةً له. كما ذهب قبله العالم الجليل ابن عقيل وشرحها في كتاب سمي باسمه «شرح ابن عقيل» وقد بينا فيما سبق عدد الشروح على ألفية ابن مالك وقد حددنا ذلك العدد قياساً لوفاة المُحْصِي، وهو حاجي خليفة، وقد يكون عدد الشروح قد ازداد عَمَّا سبق. وبعد الشروح جاء دور الحواشي علي شرح الألفية نفسها، فنري حاشية الصَّبان، وحاشية الخضري وحاشية الشيخ ياسين العليمي وسميت الحواشي[1] باسم أصحابها ومعظمها تعليق وتعقيب علي أقوال ابن ملك نفسه أو مخالفته أو مخالفة الشارح وصاحب الألفية مَعاً.

ونظن أن معظم الحواشي زادت النحو هَمَّاً وغَمَّاً، وجعلته أكثيرَ ميلاً إلى التعقيد منه إلى التسهيل وذلك إذا ما قورنت بكتاب المقتضب للمبرد مثلاً والمفصل للزمخشري

(١) ظاهرة الشذوذ ص ٤٦٠.

البَابُ الثّانِي

الأثَرُ النّحَوي

الفصل الأوّل

المرفوعات

نحاول في هذا الباب أن نبين الأثر النحوي للغات القبائل العربية التي ذكرها النحاة ولم يقولوا إنها شاذة، بل ذكروا أنها لغةٌ لأحدى القبائل العربية وتارة لم ينسبوها لأحد ويكتفون بالقول بأنها لغة.

ونحب في هذا الشأن أن نبين أن الأثر النحوي ما يزال موجوداً بين ثنايا الكتب النحوية واللغوية تحت اسم «لغات» أو لغة.

والحقيقة ـ كما تبدو واضحة للدارس العربي ـ أن هذا المصطلح عند علماء النحو واللغة علي حد سواء لا يعني اصطلاح الشذوذ أو ما يقع في معناه وقد وقع بعض العلماء المحدثين في التباس لمفهوم اللغة عند النحاة اصطلاحاً.

وهذا المرحوم الرافعي ذهب إلى القول «بأن اللغات هي الشواذ والنوادر واختلاف المعاني للكلمة الواحدة[1]» والقول السابق ليس حرياً بالاعتبار والدقة معاً. لأن النحاة قد حددوا مفاهيم ثابتة لمصطلحاتهم، فعندهم الشاذ والنادر والقليل والضرورة والقبيح والقبيح جداً والغريب[2]. وإن تتداخل حيناً

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي ١/ ١٣٥.

(٢) الكتاب انظر مثلاً ص ج / ١ ص ٢٧، ص ٥١، ٥٥، ٦٨، ٦٥، ٧٥، ز ١٢٧، ١٦٧، ١٩٧.

وانظر تفصيلاً لذلك «ظاهرة الشذوذ في النحو العربي ص ١٥٩ ومادة شذذ «لسان العرب» وتاج العروس الحقيقة نلحظ أن بعض التداخل في مفهوم المصطلحات وبخاصة بين اللغة.

بعضها ببعض. وقد حاول ابن هشام النحوي أن يوضح بعض هذه المصطلحات إذ قال: «اعلم أنهم يستعملون غالباً وكثيراً ونادراً وقليلاً ومطرداً، فالمطرد لا يختلف والغالب أكثر الأشياء ولكنه يتخلف، والكثير دونه، والقليل دون الكثير والنادر أقل من القليل فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالب والخمسةَ عشرَ بالنسبة إليها كثير، لا غالب والثلاثة قليل والواحد نادر فعلم بهذا مراتب ما يقال[1]. وقد ذكر السيوطي أن اللغة ليست شذوذاً وذلك عندما تحدث عن تثنية أب وأخ، قال: «أبان: وأخان. . . . .. وقيل ليس شذوذاً وإنما أبان وأخان على لغة إلتزام النقص[2].

١ ـ الفاعل: ذهب جمهور النحاة إلى القول بأنه إذا أسند الفعل إلى اسم ظاهر (مثنى أو مجموع) وجب تجريده من علامة تدل على التثنية أو الجمع فتقول: قام الزيدانِ وذهب المحمدانِ أو الرجلانِ، وجاءت البنتانِ.

وكذلك في الجمع، تقول: جاء المحمدون وذهب المدرسون وخَرَجَ المسلمونَ وهَلُمَّ جَرّا. وقد ذكر ابن مالك هذه القاعدة في الفيته:

وجـرد الفعـل إذا مـا أسنـدا　　لاثنين أو جمع كفاز الشهداء

وقد نسب النحاة إلى بعض القبائل العربية بأنها لا تسير على القاعدة السابقة وهذه القبائل هي: بنو الحارث بن كعب [3]وطيىء أو أزد شنوءة[4] قال ابن عقيل «أما بنو الحارث بن كعب فلهم مذهب خاص بهم، وهو أن الفعل

---

(١)، المزهر ١ / ٢٣٤ والاقتراح ص / ٥٩ الشذوذ هو ما خرج عن قياس النحو في اعتبارات المعاصرين.

(٢) همع الهوامع ١ / ٤٤ بتصرف.

(٣) شرح ابن عقيل مج ١ / ٤٦٨ بتصرف وشرح الأشموني ١ / ١٧٠ وأوضح المسالك ١ / ٣٤٥ ومغني اللبيب ١ / ٤٠٥ وحاشية الصبان ٢ / ٤٧ والكتاب ١ / ٣٩ وهمع الهوامع ١ / ١٦٠.

(٤) شرح ابن عقيل مج ١ / ٤٦٨.

إذا أسند إلى اسم ظاهر مثنى أو جمع جاءوا بعلامة تدل على التثنية أو الجمع، فتقول على مذهبهم: قاما الزيدان وقاموا الزيدون وقمن الهندات فتكون الألف والواو والنون حروفاً تدل على التثنية والجمع، ومن شواهدهم على ذلك قول الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات.

تَـوَلَّى قِتَـاَلَ الْمَـارِقِينَ بِنَفْسِـهِ وَقَـدْ أَسْلَمَـاهُ مُبْعَـدٌ وَحَمِيمُ

فبعد وحميم مرفوعان بقوله«أسلماه» والألف في «أسلماه» حرف يدل على كون الفاعل اثنين. وقال آخر:

يَلُومُـونَنِي في اشْتِرَاء النَّخِيـ ـلِ أَهْـلِي فَـكُـلُّهُـمُ يَـعْـذِلُ

فأهلي: فاعل مرفوع بقوله «يلومونني» والواو حرف يدل على الجمع ومن شواهد هذه اللغة قول الشاعر(١).

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بِعَارِضِي فَأَعْرَضْنَ عَنِّي بالخُدُودِ النَّواضِرِ

والغواني مرفوع برأين، والنون حرف يدل على جمع المؤنث. ومن شواهد هذه اللغة قول الشاعر:

فَـأَدْرَكْنَـهُ خَـالَاتُـهُ فَخَذَلْنَهُ ألا إِنَّ عِرْقَ السُّوءِ لَا بُدَّ مُدْرِكُ

فخالاته فاعل: والنون في الفعل «أدرك» حرف يدل على جمع المؤنث، وقول الآخر:

نَصَـرُوكَ قَـوْمِي فَـاعْتَـزَزْتَ بِنَصْـرِهِم
وَلَـوْ أَنَّـهُمُ خَـذَلُـوكَ كُـنْـتَ ذَلِـيـلَا

فقد ألحق الشاعر علامة جمع الذكور - وهو الواو - بالفعل في قوله

---

(١) مغني اللبيب ١ / ٤٠٥ وشرح الأشموني ١ / ١٧٠ وأوضح المسالك ١ / ١٧٠.

«نصروك مع أن هذا الفعل مسند إلى فاعل ظاهر بعده ـ وهو قومي.

وقد ورد في الحديث الشريف على هذه اللغة بعض الأحاديث فمن ذلك ما جاء في حديث وائل بن حجر «ووقعتا ركبتاه قبل أن تقعا كفاه» وقوله: «يَخْرُجْنَ العَوَاتِقُ وذَوَاتُ الخُدودِ» وقوله: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بالليلِ وَمَلاَئِكَةٌ بالنَّهارِ»[1].

وذكر ابن هشام تعقيباً على اللغة السابقة، قال: «وقد حمل بعضهم على هذه اللغة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهم﴾[2].

﴿وأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[3] وحملها على غير هذه اللغة أولى[4]

وعقب ابن عقيل على اللغة السابقة: «ويجوز على لغة أكلوني البراغيث أن يكون الوصف مبتدأ وما بعده سَدَّ مسد الخبر نحو: أقائمون الزيدون»[5].

٢ ـ المثني:

ذهب العلماء إلى القول بأن للمثني لغات ثلاثة.

اللغة الأولى: وهي اللغة المشهورة ووضع عليها القياس وذلك أن يرفع المثنى بالألف، وينصب ويجر بالياء نحو قولك:

جاء الرجلان، ورأيت الرجلين ومررت بالرجلين وقد جاء بها التنزيل نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِما﴾[6] فـ «رجلان»

(١) شرح ابن عقيل ١ / ٤٧٢ «هامش» وشرح الأشموني ١ / ١٧٠، وحاشية الصبان ٢ / ٤٨.

(٢) سورة المائدة آية رقم (٧١)

(٣) سورة الأنبياء آية (٢).

(٤) مغني الليبي ١ / ٤٠٥ والصبان ٢ / ٤٨ والأشموني ١ / ١٧١.

(٥) شرح ابن عقيل ١ / ١٩٩.

(٦) سورة المائدة آية ٢٣.

فاعل مرفوع وعلامة الرفع الألف نيابة عن الضمة لأنه مثنى ومثال الجر وقوله تعالى : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِن الْقَرْيَتَينِ عَظِيم﴾[1] وقوله تعالى : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاواتٍ في يَوْمَينِ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ في فِئَتَيْنِ﴾[3]. فكل من قريتين ويومين وفئتين «أسماء مجروة وعلامة جرها الياء لأنها مثنى ومثال النصب قوله تعالى : ﴿رَبَّنا أَرِنَا اللّذَينِ أَضَلَّانَا﴾[4]. فاللذين مفعول به ثان وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى».

اللغة الثانية :

أما اللغة الثانية في المثنى فهي أن يرفع المثنى وينصب ويجر بالألف مطلقاً، وعلى هذه اللغة تقول: جاء الطالبان كلاهما ـ رأيت الطالبان كلاهما ـ مررت بالطالبان كلاهما.

ويعلل النحاة إعراب المثنى على هذه اللغة بأنه كاعراب الأسم المقصور بحركات مقدرة على الألف. وقرىء قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ وقوله ﷺ : «لا وِتْرَان فيِ ليلةٍ» وجاء عليه قول الشاعر:

تَـزَوَّدَ مِنَّـا بَيْنِ أُذْنَـاهُ طَعْنَـةً ... دَعَتْهُ إلى هَابِي التُّرَابِ عَقِيمُ

فإنَّ من حق «هذان» و «وتران» و «أذناه» ـ لو جرين على اللغة المشهور أن تكونا بالياء: فإنَّ الأولى اسم «إنَّ» والثانية اسم «لا» وهما منصوبان ـ والثالثة في موضع المجرور بإضافة الظرف قبلها[5].

---

(١) سورة الزخرف آية ٣١.
(٢) سورة فصلت آية (١٢).
(٣) سورة آل عمران آية ١٣.
(٤) سورة فصلت آية (٢٩).
(٥) شرح ابن عقيل ١ / ٥٨.

وجاء على هذه اللغة قراءة بعضهم: ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُمُؤْ مِنَانِ﴾ «فـ»مؤ منان» خبر كان منصوب بالفتحة المقدرة على الألف[1].

ونسبت اللغة السابقة إلى قبائل بَلْحَارث بـن كَعْب وخثعم وزَبيد، وكِنانة وآخرين [2] وذكر أبو حيان بأنهـا لغة لسُليم[3].

اللغة الثالثة:

أما اللغة الثالثة في المثنى فهي إلزام المثنى الألف والنون في جميع الأحوال مع إعرابه بحركات ظاهرة على النون، كأنه اسم مفرد، فتقول: جَاءَ الوَلَدَانُ، بالضمة على النون.

رأيتُ الوادانَ، بالفتحة نصباً على النون.

مررتُ بالولدانِ، بالجر، بالكسرة الظاهرة على النون.

وإذا كان المثنى غير معرف بال؛ فتقول: جَاءَ وَلَدَانٌ ورأيت وَلَدَاناً ومررتِ بَوَلَدَانٍ[4].

٣ ـ ملحق المثنى:

ألحق العرب بالمثنى خمسة ألفاظ، وهي كما يلي:

اثنان واثنتان في لغة أهل الحجاز، و«ثنتان». في لغة تميم وكلا وكلتا. وعندما نقف مع الألفاظ الثلاثة «اثنان واثنتان وثنتان» لم نجد خلافاً إلا في الإملاء، وبخاصة للمثنى المؤنث. حيث تقول: اثنتان وثنتان، وكلا القولين

---

(١) البحر المحيط ٦ / ٢٧٢.
(٢) شذور الذهب ص ٤٦ وص ٤٧ وشرح الأشموني ١ / ٣٤ وحاشية الصبان ١ / ٧٩.
(٣) المصباح للمطرزي ص ٤٤.
(٣) والبحر المحيط ٦ / ٢٧٢.
(٤) حاشية الصبان ١ / ٧٩ والنحو الوافي ١ / ١٢٤ بتصرف.

صواب، على لغة أهل الحجاز وبني تميم. وملحق المثنى يخضع لإعراب المثنى نفسه، طبقاً للغات العرب في المثنى، كما ذكرت سابقاً.

٤ ـ الضمير «أنا».

ذكر الأشموني أن الضمير «أنا» فيه عدة لغات أفصحها إثبات الألف فتقول: أنا عربي، وهي اثبات الألف وصلا ووقفاً وهي لغة تميم. واللغة الأخرى إبدال الهمزة هاء فتقول في «أنا» هنا. وهناك لغة ثالثة وهي بمد الهمزة فتقول «آن» بمدة فوق الهمزة[١] وفي «هو» و «هي» أربع لغات: ضم الهاء وكسرها وتشديد الواو وحذفها هُو وهِي وهُوْ وهِيْ، وهُوَّ وهِيَّ وهُـ و هِـ[٢].

٥ ـ ملحق جمع المذكر السالم:

من لغات العرب حول ما ألحق بجمع المذكر السالم كلمة «سنون» وقد أعربت في لغات بعض العرب بالحركات الظاهرة نحو: هذه سنينٌ وعشت سنيناً ومررت بسنينٍ. واختلف في أطراد هذا، والصحيح أنه لا يطرد، وأنه مقصور على السماع ومنه قول الرسول ﷺ: «اللَّهُمَ اجْعَلْهَا عَلَيْهِم سِنِينَاً كَسِنِينِ يُوُسفَ».

ومثله قول الشاعر:

دَعَانِيَ مِن نَجْدٍ، فَـإِنَّ سِنِينَهُ   لَعِبْنَ بِنَا شِيبَاً وَشيبْنَنَا مُرْدَا[٣]

٦ ـ اجتماع اللقب والاسم.

كانت العرب كما يُروى ـ تزيد الاسم وتذكر اللقب كاملاً، وقيل أن رؤ بة

---

(١) شرح الأشموني ١ / ٥١ بتصرف.
(٢) تاريخ آداب العرب ١ / ١٥٨.
(٣) شرح ابن عقيل ١ / ٦٥.

ابن العجاج هو أول من قال في تقصير الاسم وتخفيف عدد النسب. فقال:

قَـدْ رَفَـعَ الْعَجَّـاجُ ذِكْـرِي فَـادْعُـنِي
بـاسْمِيَ إذا الأَسْمَـاءُ طَـالَتْ يَـكْفِـنِي

والمشهور عند العرب أن تبدأ بالأسم ثم تذكر اللقب، فتقول مثلاً: محمد يوسف السالم ولا تقول السالم محمد يوسف حيث هذا النوع من التقديم قد يجوز استعماله في اللغات الأجنبية. أما في لغة العرب فيجب تأخير اللقب. وقد سمع عن بعض العرب تقديم اللقب. قال الشاعر.

بِأَنَّ ذَا الْكَلْبِ عَمْراً خَيْرُهُمْ حَسَبَا ... بِبَطْنِ شِرْيَانَ يَعْوِي حَوْلَهُ الذِّيبُ

أما إذا اجتمع الأسم والكنية فأنت مخير بالتقديم والتأخير[1].

٧ ـ خبر «لا» النافية للجنس.

ذكر النحاة أن خبر «لا» النافية للجنس يحذف وجوباً عند التميميين والطائيين إذا دل عليه دليل. كما كثر حذفه عند الحجازيين ومثاله أن يقال:

هل من رجل قائم: فتقول: لا رَجُلَ . . . . . «وتحذف الخبر وهو قائم ـ وجوباً عند قبيلة تميم وبني طيىء وجوازاً عند الحجازيين ولا فرق في ذلك بين أن يكون الخبر غير ظرف ولا جار ومجرور كما مُثّلَ أو ظرفاً أو جاراً ومجروراً، نحو: أن يقال: هل عندك رجل،؟ أو هل في الدار رجل،؟.

فتقول: «لا رَجُلَ» فإن لم يدل على الخبر دليل لم يجز حذفه عند الجميع نحو قوله ﷺ «لا أَحَدَ أَغْيَرُ من الله»[2].

(١) شرح ابن عقيل ١ / ١٢١ وانظر مسألة الألقاب ـ الكتاب ٢ / ٤٩ والمقتضب ٤ / ١٦.
(٢) شرح ابن عقيل ١ / ٤١٣ بتصرف ومغنى اللبيب ١ / ٢٤٦.

وقول الشاعر:

إذَا اللِّقَاحُ غَدَتْ مُلْقىً أَصَرَّتُهَا
وَلاَ كَرِيمَ مِنَ الْوِلْدَانِ مَصْبُوحُ

ومما جاء على لغتهم في التنزيل قوله تعالى: ﴿قالوا لا ضير إنَّا إلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَلاَ فَوْتَ﴾[2] ومن لغات العرب في «لا جَرَمَ» لا جَرَ بفتح الجيم والراء وحذف الميم وفيها لغة (لا جُرْمَ[3]).

٨ ـ الأسماء الستة:

الأسماء الستة عند علماء النحو هي: أب، أخ، حم، فو، ذو و «هن» يجدر بنا في هذا الشأن أن نعتبر الأسماء الستة من فصيلة المرفوعات، لأن الرفع يأتي كأول ظاهرة في إعرابها. وقد ذكر العلماء أن فيها عدة لغات أشهرها ثلاثة [4].

اللغة الأولى: وهي أن ترفع بالواو بشرط إضافتها لغير ياء المتكلم وذلك نحو قولك: جاء أبوك وأخوك وحموك وسلم فُوكَ وهَلُمَّ جَرًّا....

وأن تنصب بالألف نحو رأيت أباك وحماك وأخاك، وأغسل فاك...

وأن تجر بالياء نحو: مررت بأبيك وحميك وأخيك والحكمة تخرج من فيك....

وجاء التنزيل بهذه اللغة، نحو قوله تعالى: ﴿وأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[5]. وقوله

---

(١) سورة الشعراء آية ٥٠.

(٢) سورة سبأ آية. (٥).

(٣) ذيل الأمالي ١ / ٢٢٠.

(٤) شرح الأشموني ١ / ٢٩ بتصرف «بعض النحاة خصص اللغات في أسماء ثلاثة «أب أخ حم» وشرح ابن عقيل ١ / ٤٨ وشرح المفصل ١ / ٥٢ واللمحة البدرية ١ / ٢٥٩ والأنصاف مسألة (٢).

(٥) سورة القصص (٢٣).

تعالى : ﴿يا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغيا﴾[١] . وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِن حَيْثُ أَمَرَهُم أَبُوهُمْ﴾ [٢]. فـ «أبونا» مبتدأ مرفوع بالواو وهو مضاف إلى الضمير (أنا) و «أبوك» في الآية الثانية اسم كان مرفوع بالواو وهو مضاف إلى (ك) وأبوهم في الآية الثالثة فاعل مرفوع بالواو وهو مضاف إلى الضمير (هم) ومما جاء منصوباً كقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُم﴾ [٣]. ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكم قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَوْثِقاً﴾[٤] . وقوله تعالى : ﴿إنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِين﴾[٥] فكلمة «أب» في الآيات السابقة جاءت منصوبة بالألف فالأولى خبر كان والثانية جاءت إسماً لأن وكذلك الثالثة ومما جاء مجروراً في قوله تعالى : ﴿إذْ قَالَ يُوسُفِ لأَبِيَهِ يَا أَبَتِ﴾[٦]. وقوله تعالى : ﴿فَلَمْا رَجَعُوا إلي أَبِيهِمَ قَالُوا﴾[٧] فكلمة «أبيه» وأبيهم «في الآيتين السابقتين جاءتا مجرورتين بالياء.

اللغة الثانية للأسماء الستة[٨].

أما اللغة الثانية فهي أن تعرب هذه الأسماء بالألف رفعاً ونصباً وجراً فتقول علي هذه اللغة: جاء أباك ورأيت أباك ومررت بأباك فيجعلونه كالاسم المقصور مرفوع بضمة مقدرة على الألف فـ «أباك الأولي والثانية بفتحة مقدرة

(١) سورة مريم (٢٨).
(٢) سورة يوسف ٦٨ .
(٣) الأحزاب (٤٠).
(٤) يوسف ٨٠.
(٥) يوسف ٨.
(٦) يوسف ٤ .
(٧) يوسف ٦٣ .
(٨) ينظر في هذه المسألة الأنصاف مسألة ٣ وكتاب المصباح للمطرزي ص ٤٠ واللمحة البدرية / ٢٥٩ وشرح التصريح ١ / ٦٤ وهمع الهوامع ١/ ٣٩ وشرح المفصل ١ / ٥٢ والبداية في تقويم اللسان ورقة ٤ والافصاح ورقة ٨ وحاشية العشماوي ورقة ١٤ والأشموني ١ / ٢٩ والإيضاح في شرح المفصل ١ / ٣٥٢.

على الألف والثالثة مجرورة بكسرة مقدرة على الألف ومما جاء في الشعر على هذه اللغة:

إنَّ أَبَـاهَـا وأَبَـا أَبَـاهَـا قَدْ بَلَغَا فِي المَجْـدِ غَايَتَاها

ويحكي عن الأمام أبي حنيفة أنه سُئِلَ عن إنسانٍ رمي إنساناً بحجر فقتله، هل يجب عليه القود ؟ فقال: لا، ولو رماه بأبا قبيس، بالألف علي هذه اللغة، ومن أمثلة العرب «مكره أخاك لا بطل»[1].

اللغة الثالثة:

أطلق النحاة على هذه اللغة «لغة النقص» وهي تخص ثلاثة أسماء «أب» و «أخ» و «حم» وتعرب بحركات ظاهرة. نحو قولك:

هـذا أَبُـهُ وأَخُـهُ وحَمُهَـا رفعـاً بـالضمـة
ورأيت أبَـهُ وأَخَـهُ وحَمَهَـا نصباً بـالفتحة
ومـررتُ بِأَبِـه وأَخِـهِ وَحِمِهـا جَـرّاً بـالكسـرة

وعليه قول الشاعر:

بِـأَبِـهِ اقْتَـدَي عَـدِيٌّ فـي الْـكَـرَمِ
وَمَـنْ يُـشَـابِـهْ أَبَـهُ فَـمَـا ظَـلَمْ

فأما الحمُ فالعامة تظنة أبا الزوج، وإنما هو أقاربه مطلقاً وقد قالت عائشة رضي الله عنها، عند منصرفها من البصرة، «إنَّه واللهِ مَا كَانَ بَيْني وَبَيْنَ عَليٍّ إلاّ مَا يَكُونَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وأَحْمَائِهَا «وقال ابن مالك: «ربما أطلق على أقارب الزوجة[2].

---

(١) شرح الأشموني ١ / ٢٩ وشرح ابن عقيل ١ / ٤٩ وشذور الذهب ص ٤٢.
(٢) ينظر شرح ابن عقيل ١ / ٤٩، ٥٠ وشرح التصريح ١ / ٦٤ واللمحة ١ / ٢٥٩.

أما الأسم السادس من الأسماء الستة فقد أختلف العلماء حوله، كما ذكره الفراء وقالوا في معناه «إنَّهُ اسم يكنى به أسماء الأجناس، كرجل، وفرس وغير ذلك. وقيل: «عما يستقبح التصريح به، وقيل عن الفرج خاصة»[1].

٩ ـ رفع الأسم الظاهر بعد اسم التفضيل (مسألة الكحل).

حاول النحاة أن يفلسفوا تخريجاً مناسباً لرفع الاسم الظاهر بعد أفعل التفضيل وقد أطلقوا عليها (مسألة الكحل) واشترطوا لهذه المسألة شرطين:

١ ـ إن صَلَحَ لوقوع فعل بمعناه مَوْقِعَهُ، صَحَّ أن يرفعَ ظاهراً قياساً مطرداً.

٢ ـ أن تكون الجملة مسبوقة بنفي أو شبهه وكان مرفوعه أجنبياً، أي: غير رافع لضمير. وذلك نحو قولك: «ما رأيتُ رجلاً أحسنَ في عَينه الْكُحْلُ مِنهُ في عَيْنِ زَيْدٍ «فالكحلُ، مرفوع بأحسن: لصحة وقوع فعل في معناه، نحو: ما رأيتُ رَجُلًا يَحْسُنُ فِي عينه الْكُحْلُ كزيدٍ، والحقيقة كما يبدو أن هذه اللغة حجازية قد تعود إلى قول الرسول عليه السلام عندما رفع ظاهراً، وذلك في قوله: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبَّ إلى اللهِ فِيها الصَّوْمُ مِنه في عَشْرِ ذي الْحُجةِ» وقول الشاعر. أنشده سيبويه:

مَرَرْتُ عَلَي وَادِي السِّبَاعِ، وَلاَ أَرَى ... كَوَادِي السِّبَاعِ حِينَ يُظْلِمُ وَادِيَا
أَقَلَّ بِـهِ رَكْبٌ أَتَـوْهُ تَئِيَّـةً ... وأَخْوَفَ إلاَّ مَا وَقَى اللهُ سَارِيَا

فَرَكْبٌ: مرفوعٌ بـ «أقل» ونود أن نشير إلى أننا قد ذهبنا إلى القول بأن مسألة رفع الظاهر بعد إسم التفضيل، تعود إلى اللغة الحجازية، إذ اعتمدنا في ذلك على قول رسول الله ﷺ من جهة، ومن جهة ثانية، أنَّ هذه المسالة

---

(١) انظر مثلاً: شرح الأشموني ١ / ٢٩ وشرح ابن عقيل ١ / ٤٨ وشرح قطر الندى ١/ ٦٢.

مطردة في كتب النحاة، ولم ينسبوها إلى لغةٍ معينة، بخلاف ما سوف نبينه بال الحميرية مع أن الرسول عليه السلام، تحدث بها إلَّا أن النحاةَ نسبوها لحمير[1].

١٠ ـ ما المشبهة بـ «ليس».

ذكر علماء النحو أن «ما» المشبهة بـ «ليس» تعمل عملها حيث ترفع الاسم وتنصب الخبر نحو قولك في «ليس»: ليس محمدٌ واقفاً، تقول في «ما»: ما محمدٌ وَاقِفاً. وذكر النحاة أن سبب المشابهة يعود إلى المعني «وهو النفي» وأُفْرِدَتْ عن بابها لأَنَّها حرفٌ و «لَيس» فِعْل.

وذكروا أن فيها لُغَتَينِ:

اللغةُ الأَولى: وقد نسبت لأهل الحجاز، وأطلقوا عليها» ما «الحجَّازية» وهي تعمل عندهم بشروطٍ، قريبةٍ في الغالب من شروط ليس مّا عدا تقديم اسمها[2]. وقد تقول على لغة الحجازيين في «ما»: ما زيدٌ وَاقِفاً. ما العربي مهزوماً وهَلُمَّ جَرّا. وامتدح ابن هشام النحوي هذا اللغة وقال: وهي اللغة القويمة[3]، وجاء بها التنزيل، نحو قوله تعالى: ﴿ ما هَذَا بَشَراً﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِم﴾[5] ومما جاء على هذه اللغة شعراً، قول

---

(١) ينظر في هذه المسألة الكتاب ٢ / ٢٣٢ والمقتضب ٣ / ٢٤٨ وابن عقيل بتصرف ٢ / ١٨٨. وشذور الذهب ٤١٤ والإنصاف مسألة (١٥) بتصرف «وأنظر رأي أستاذنا الفاضل الدكتور عبد الحميد طلب في مسألة الاستشهاد بالحديث «تاريخ النحو وأصوله ص ٤٦٠.

(٢) شرح ابن عقيل ١ / ٣٠٢ وشذور الذهب ١٩٣ والأشموني ١ / ١٢١ وأضح المسالك ١ / ١٩٥ والجمل ورقة ٢٤ والخصائص ١ / ٢٤٣.

(٣) قطر الندى ١ / ١٥٨ واملاء ما من به الرحمن ٢ / ٥٣. ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٧٢١.

(٤) سورة يوسف آية ٣١.

(٥) المجادلة آية ٢.

الشاعر: [1]:

أَبَنَـاؤُهَـا مُتَكَنِّفُـونَ آبـاهُمُ   حَنِقُو الصُّدُورِ وَمَا هُمُ أَوْلَادَهَا

اللغة الثانية: وهي لغة لبني تميم وسمَّوها «ما التميمية». فـ «ما» لا تعمل عند تميم شيئاً، لا ترفع ولا تنصب، فتقول على لغتهم: ما زيدٌ واقفٌ، وما الطالبُ راسبٌ، وما إسرائيلُ دولةٌ إلخ. فزيدٌ: مبتدأ وواقفٌ خبر وكذلك الطالبُ وإسرائيلُ... كُلٌّ منهما مبتدأ وما بعدهما «خبر» وحجتهم في ذلك أن «ما» حرف لا يختص لدخوله على الاسم، نحو: ما زيدٌ قائمٌ، وعلى الفعل نحو: ما يقومُ زيدٌ، وما لا يختص حقه ألَّا يعمل[2] قال: وقُرِىء على لغتهم: «مَا هَذَا بَشَرٌ» وقوله تعالى: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[3] بالرفع في كلمتي «بَشَرٌ وأُمَّهَاتِهُم». وقد أدخلوا الباء زائدة في خبرها، وروي عن الفراء، قال: «في حرف عبد الله بن مسعود، مَاَ هُنَّ بِأُمَّهَاتِهِمْ بزيادةِ الباء فأما بنو تميم فأنهن إذا أسقطوا الباء رفعوا خبر «ما»، فقالوا: ما زَيْدٌ قَائِمٌ، وروى المفضل عن عاصم: ما هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ، وأَنْشِدَ:

لَشَتَّانَ مَا أَنْوِي وَيَنْوِي بَنُو أَبِي   جَمِيعـاً فَمَا هَـذَانِ مُسْتَـوِيَـانِ
تَمَنَّوَا لِيَّ المَوْتَ الَّذِي يَشْعُبُ الفَتَى   وكُلُّ فَتىً والمُوْتُ يَلْتَقِيَـانِ[4]

١١ - إِنْ النافية في لغة أهل الحجاز، وهي تعمل عمل «ليس» ذكر النحاة. أن «إنْ» النافية عند أهل العالية من الحجازيين تعمل عمل ليس وبشروط ما السابقة. وذلك نحو قول بعضهم: «إنْ أحدٌ خَيْراً من أَحَدٍ إلّا

---

(١) شرح ابن عقيل ١ / ٣٠٢.
(٢) شرح ابن عقيل ١ / ٣٠٢.
(٣) شذور الذهب ص ١٩٦.
(٤) إعراب ثلاثين سورة ص ٥٣ وشذور الذهب ١٩٦.

بالعافية وكقراءة سعيد بن جبير: «إنَّ الَّذينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عَباداً أَمْثَالَكُمْ» [1]. على «أن «أنْ» رَفَعَتْ الذين، وهو اسمها، ونصبت عباداً، وهو خبرها. ومما جاء على قول

ومما جاء على هذه اللغة قول الشاعر:

إنْ هُوَ مُسْتَوْلِياً عَلَى أَحَدٍ إلَّا عَلَى أَضْعَفِ المَجَانِينِ

وقول الآخر:

إنِ الْمَرْءُ مَيْتاً بانْقِضَاءِ حَيَاتِهِ وَلَكِنْ بِأَنْ يُبْغَى عَلَيه فيُخْذَلَا [3]

١٢ ـ «لا» النافية عند أهل الحجاز، وهي تعمل عمل ليس.

ذكر النحاة أن «لا» تعمل عمل «ليس» عند أهل الحجاز بشروط معينة نحو: كون اسمها وخبرها نكرتين، وإلا يتقدم خبرها عليها وعلى اسمها ولا يفصل بينها وبين اسمها وغير ذلك ـ. نحو قولك لا رَجُلٌ أفْضَلَ منك «ومما جاء على هذه اللغة قول الشاعر:

تَعَزّ فَلَا شَيْءٌ عَلَى الأَرْضِ بَاقِياً وَلَا وَزَرٌ مِمَّا قَضَى اللهُ وَاقِياً

فـ «شيءٌ» اسم «لا» مرفوع، وباقياً خبرها منصوب «وكذلك»وزر»اسمها وواقياً خبرها. وقول الآخر:

نَصَرْتُكَ إذْ لَا صَاحِبٌ غَيْرَ خَاذِلٍ فَبُوِّئْتَ حِصْناً بِالْكُمَاةِ حَصِينَا

---

(١) سورة الأعراف آية ١٩٤.

(٢) أوضح المسالك ١ / ٢٠٨ والأشموني ١ / ١٢٦ وهمع الهوامع ١ / ١٢٥ وشرح الكافية ١ / ١١٢.

وزعم بعضهم أنها قد تعمل في المعرفة، وأنشد للنابغة:

بَدَتْ فِعْلَ ذي وُدٍّ، فَلَمَّا تَبِعْتُهَا ... تَوَلَّتْ، وَبَقَّتْ حَاجَتِي في فُؤَادِيَا

وَحَلَّتْ سَوَادَ الْقَلْبِ لَا أَنَا بَاغياً ... سِوَاها، وَلَا عَنْ حُبِّهَا مُتَراخِياً [1]

وقال آخر[2]:

أَنْكَرْتُها بَعْدَ أَعْوَامٍ مَضَيْنَ لَهَا ... لا الدَّارُ دَاراً ولا الجِّيرانُ جِيرَانَا

وقال المرحوم الشيخ محي الدين عبد الحميد: وقد حذا المتنبي حذو النابغة فقال:

إذَا الْجُـودُ لَمْ يُرْزَقْ خَـلَاصَاً مِن الأَذَى

فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُـوباً وَلَا الْمَـالُ[3] باقِيـا

والحقيقة التي يجب أن يُلْتَزَم بها عند النحاة، هي عدم الاستشهاد بشعر المحدثين وممن جاءوا بعد عصر الاستشهاد، إذ ينبغي عدم الاستشهاد بشعر المتنبي، وقد اتخذ المجمع العلمي اللغوي في القاهرة ـ بشأن المحاكاة والنقل عن العرب قراراً جاء فيه «إن العرب الذين يوثق بعربيتهم ويشتشهد بكلامهم هم عرب الإمصار إلى نهاية القرن الثاني وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع[4] وقد سبق أن حدد القدماء تاريخاً للنقل عن العرب إذ ذكر ذلك السيوطي إذ حدد آخر من يحتج به من الأشخاص هو

---

(١) شرح ابن عقيل ١ / ٣١٧ بتصرف وشرح الكافية ١ / ١١٢ وشرح أبيات سيبويه ١ / ٤٣ ليوسف السيرافي.

(٢) ينظر في هذا الشأن: شرح ابن عقيل ١/ ٣١٤، وشذور الذهب ص ١٩٣. وأوضح المسالك ١ / ٨٥ و ١٩٥ وشرح المفصل ٢ / ١١٦ وهمع الهوامع ١ / ١٢٥.

(٣) شرح ابن عقيل ١ / ٣١٢ ـ ٣١٦ بتصرف وشرح الأشموني ١ / ١٢٤، ١٢٥ بتصرف وشذور الذهب ١٩٦ ومغني اللبيب ١ / ٢٦٤، ٢٦٥، وهمع الهوامع ١ / ١٢٥ وانظر رأي الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد في هذه المسألة هامش ابن عقيل ١ / ٣١٦.

(٤) مجلة المجمع اللغوي القاهرة مج ١ / ص ٢٠٢.

إبراهيم بن هرمة الذي ولد سنة «٩٠» هـ وَعَمَّرَ طويلاً، حتى اجتاز منتصف القرن الثاني[١].

١٢ ـ الأسماء الموصولة:

تحدث النحاة عن القياس في الأسماء الموصولة، وبخاصة في الاسم الموصول «الذين» إذ يقال للمذكر العاقل في الجمع «الذين» مطلقاً أي: رفعاً ونصباً وجراً فتقول: جاءني الذين أكرموا زيداً، ورأيت الذين أكرموا زيداً، ومررت بالذين أكرموا زيداً. وذكر بعض النحاة أن للعرب لغةً أخرى في الذين ونسبت هذه اللغة لبنيْ هذيل، حيث يقولون في الرفع الّذون وفي النصب الذين، وكذلك في الجر الذين ومما جاء على هذه للغة قول الشاعر:

نَحْنُ الذُّونَ صَبَّحُوا الصَّبَاحَا ... يَوْمَ النَخَيْلِ غَارَةً مِلْحَاحَا[٢]

وقد نسب الأشموني هذه اللغة إلى قبيلة عقيل[٣].

٢ ـ حذف نون «اللذان واللتان»:

ذكر ابن هشام النحوي أن قبيلة بلحارث بن كعب وبعض ربيعة يحذفون نون «اللذان واللتان»، وعلى هذه اللغة جاء قول الشاعر:

أَبَني كُلَيبٍ أَنَّ عَمَّي اللذا ... قَتَلاَ المُلُوكَ وَفَكَّكَا الأَغْلاَلاَ

وقول الآخر: هما اللتا لو ولدت تميم[٤].

ذو الطائية:

استخدمت قبيلة طيء العربية كلمة «ذو» بمعنى الذي، أي: جعلت

---

(١) انظر الاقتراح للسيوطي ص ٢٧ بتصرف وانظر رأينا في ذلك «ظاهرة الشذوذ ص ٩١.
(٢) شرح ابن عقيل ١ / ١٤٤ وشرح الأشموني ١ / ٦٨ وهمع الهوامع ١ / ٨٣.
(٣) شرح الأشموني ١ / ٦٨.
(٤) أوضح المسالك ١ / ٩٩ والتوطئه ص ١٦٥ وشرح المفصل ٣ / ١٤٦، ١٤٧.

كلمة «ذو» إسماً موصلاً، وتكون للعاقل وغيره. وذلك نحو قولك: جاءني ذو قام، ورأيت ذو قام ومررت بذو قام. ومنه قول الشاعر:

فَامّا كِرَامٌ مُوسِرُونَ لَقِيتُهُم فَحَسْبِي مِنْ ذُو عِنْدَهَم مَا كَفَانِيَا

وقال آخر:

فإِنَّ الماءَ مَاءُ أَبِي وَجَدي وَبِئْرِي ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ

وقال آخر[1]:

فَقُولاَ لِهَذَا المَرْءِ ذُو جَاءَ سَاعِياً
هَلُمَّ، فَإِنَّ المُشْرَفِيَّ الفَرَائِضُ

وقال ثان:

أظُنُّكَ دُونَ الْمَالِ ذُو جِئْتَ طَالِباً
سَتَلْقَاكَ بِيضٌ لِلنُّفُوسِ قَوَابِض

وسمع من كلام بعضهم: «لا وذو في السماء عرشه» ويبدو أن قبيلة بني فقعس قد سارت في اتجاه طيء لأن قائل الشعر السابق هو منظور بن سحيم الفقعسي. ومن أمثال العرب: «أتى عليه ذو أتى على الناس» أي الذي أتى عليهم. وذكر النحاة أن بعض بني طيء يعربونها بالواو رفعاً وبالألف نصباً وبالياء جراً، فتقول على لغتهم:

جاءني ذُو قَامَ، ورأيتُ ذَا قَامَ ومَرَرْتُ بِذي قَامَ. وقد روي البيت السابق على لغتهم:

---

(١) ينظر في هذا الشأن: شرح ابن عقيل ١ / ١٥٠ والهامش. وشرح الأشموني ١ / ٧٢ وقطر الندى ١ / ١٤٣ وشذور الذهب ص ١٤٥، والأصول في النحو ٢ / ٢٤ واللمحة البدرية ١ / ٣٣٢ (بتصرف) والتوطئة ص ١٦٠ وهمع الهوامع ١ / ٨٤ وشرح المفصل ٣ / ١٤٨.

فَـإِمَّا كِـرَامٌ مُـوسِـرُونَ لَقِيتُهُمْ　　　فَحَسْبِي مِنْ ذي عِنْدَهَم مَا كَفَانِيا

ورووا أن في «ذو» لغة ثالثة: إذ يقال في المفرد المؤنث، جاءني ذَاتُ قامت وفي جمع المؤنث، تقول: جاءني ذوات قمن. ومنهم من يثنيها ويجمعها فيقال: ذَوَا و «ذَوُو» في الرفع وذَوَيْ و «ذَوِي» في النصب والـجر. «وذَوَاتَا في الرفع وذَوَاتِيْ في الجر والنصب وذَوَاتُ في الجمع[1].

(٢) شرح ابن عقيل ١ / ١٥٠ وما بعدها وشرح الأشموني ٧٣١. واللمحة البدرية ١ / ٣٣٢ والأصول في النحو ٢٤.

الفَصْلُ الثَّاني

لغَاتُ العَرَبِ في المنصُوبَات وَالمجرورَات

أولاً: المنصوبات

١ ـ المنادى[1] ذكر النحاة أن المنادى إذا كان مضافاً إلى ياء المتكلم نحو: غلامي، وابني وولدي ونحوها فيه عدة لغات، وحددها بعضهم بست لغات. اللغةُ الأولى: نحو: يا غُلَامِيْ بإثبات لياء الساكنة، كقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِي لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ﴾ (الزخرف ٦٨).

اللغة الثانية: يَا غُلَامِ، بحذف الياء الساكنة وإبقاء الكسرة دليلاً عليها، قال الله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (الزمر ١٦).

اللغة الثالثة: ضم الحرف الذي كان مكسوراً لأجل الياء، وهي لغة ضعيفة، حكوا من كلامهم: يا أُمُّ لَا تَفْعَلِي «بالضم» «وقُرِيءَ»: ﴿قَالَ رَبُّ احْكُمْ بَالْحَقِّ﴾ (بالضم) (الأنبياء ١١٢).

اللغة الرابعة: يا غُلامِيَ بفتح الياء، قال، الله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِي أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ (الزمر ٥٣).

---

(١) قطر الندى ١ / ٢٨٤ وشرح ابن عقيل ٢ / ٧٤.

اللغة الخامسة: يا غُلاَمَا، بقلب الكسرة التي قبل الياء المفتوحة فَتْحَةً، فتقلب الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَسَفا عَلَى يُوسُفَ﴾ (يوسف ٨٤).

اللغة السادسة: يَا غُلاَمَ بحذف الألف وإبقاء الفتحة دليلاً عليها.

٢ ـ المنادى المبني على الضم. اتفق النحاة على أن المنادي يبني على الضم إذا كان مفرداً معرفة. قال ابن هشام «والمفرد المعرفة يبني على ما يرفع به، كـ «يا زيد» و «يا زيدان» و «يا زيدون ويا رجل لمعين «أي نكرة مقصودة. ولكن السيوطي ذكر أن بعض العرب تفتح آخر المنادي المفرد، قال[1]: «سمع من كلام العرب» «يا عَائِشَةَ» بفتح التاء، قال النابغة: كَليني لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبُ «والرواية بفتح التاء.

٢ ـ نصب الاسم الواقع بعد كم الخبرية

قال ابن هشام: «زعم قوم أن بني تميم تنصب الاسم الواقع بعد «كم» الخبرية إذا كان مفرداً، وروي قول الفرزدق:

كَمْ عَمَّةً لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةً ... فَدْعَاءُ قَدْ حَلَبْتَ عَليَّ عِشارِي[2]

٣ ـ نصب الجزءين بعد «إنَّ وأَخَواتها».

ذكر الأشموني عن ابن سيدة أن قوماً من العرب تنصب الجزءين بعد «إنَّ وأخواتها، ومن ذلك قول الشاعر:

إِذَا اسْـوَدَّ جُنْحُ اللَّيْـلِ فَلْتَـأتِ وَلْتَكُنْ
خُـطَاكَ خِفَـاقـاً، إنَّ حُـرَّاسَنـا أُسْـدَا

(١) همع الهوامع ١ / ١٨٥.
(٢) مغني اللبيب ٩١ ٢٠٢.

وقوله:

قَدْ طَرَقَتْ لَيْلَي بِلَيْلٍ هَاجِعاً   يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصِّبَا رَوَاجِعَا [١]

وقال الشلوبيني: وفي ليت لغتان: أيت وهي الكثري ولوت وهي القليلة[٢]

وقوله:

كَأَنَّ أُذْنَيْهِ اتَشَوَّقَا   قَادِمَةً أَوَ قَلَماً مُحَرَّقَا[١]

٤ ـ الاستثناء المنقطع:

إن كان الاستثناء منقطعاً تعين النصب عند جمهور النحاة وذلك نحو قولك: حَضَر القومُ إلا حماراً، فقد أجاز بنو تميم في الاستثناء المنقطع الاتباع، قال ابن عقيل: «وأجازه بنو تميم، فتقول ما قام القومُ إلا حمارٌ وما ضربتُ القومَ إلا حماراً وما مَرَرْتُ بالقومِ إلّا حمارٍ[٣]».

٥ ـ نصب «غير» في الاستثناء مطلقاً لغة عند الحجازيين وبعض العرب ذهب السيوطي إلى القول بأن بعض بني أسد وقضاعة ينصبون «غير» في الاستثناء مطلقاً، إن كان الاستثناء موجباً تاماً ليس منفياً، ونعني به الجملة التامة المنفية أو الموجبة وذلك نحو قولك: جاء الطلاب غَيْرَ طالب وما جاء الطلاب غَيْرَ طالبٍ. ينصب «غَيْرَ» في كلتا الجملتين.

ولكن النحاة قد أجمعوا تقريباً على لغة بني تميم، وذلك أن غير لها حالتان في الاستثناء، وذلك عندما تكون جملة الاستثناء منفية، نحو قولك ما جاء الرجال غَيْرُ رجلٍ، بنصب غَيْر أو برفعها بدلاً، كما تقول في «إلا». ما قام القوم إلا زيداً و«إلا» زَيْدٌ، وهذه لغة لبني تميم[٤] وذهب ابن هشام إلى القول

(١) شرح الأشموني ١ / ١٣٥ وشرح شواهد المغني ١ / ١٢٢.

(٢) التوطئة ٢٢٢.

(٣) شرح ابن عقيل ١ / ٦٠٠.

(٤) قطر الندى ٢ / ٣٤٨ بتصرف ينبغي أن يقال فتح «غير» لأن الفتح لا يتغير.

بأن نصب غير في الاستثناء المنفي لغةٌ للحجازيين وقال: «ما قام القوم غَيْرَ حمار بالنصب عند الحجازيين[1] وبهذه اللغة قد اشتركوا مع بني أسد وقضاعة[2] والمعروف لدي النحاة أن «غير» و «إلا» تتبادلان في المعني في أسلوب الاستثناء، جاء في المجالس: «سُئِل أبو العباس، ثعلب: أَنْتِ طَالِقٌ شَهْراً إلاّ هذا اليوم، وقال: اليَومَ لا تطلق، وبعده تطلق، فلو قال في موضع إلاَّ «غير» لكان المعني واحداً[3].

٦ ـ لن تجزم المضارع في لغة لبعض العرب.

المشهور في لغة العرب أَنَّ «لَنْ» تنصب الفعل المضارع، وقد جاءت في التنزيل كقوله تعالى: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًاً لِلْمُجْرِمِينَ» (القصص ١٧) ونحو قولك: لَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ. أما السيوطي فقد ذكر أن في (لن) لغة أخرى، وهي جزم الفعل المضارع، قال: «وحكي الجزم بلن لغة وأنشد:

لَنْ يَخِبْ الآنَ مِنْ رَجَائِكَ حَرِكٌ من دُونِ بَابِكَ الحلقة[4]

٧ ـ العطف على اسم أن قبل الاتيان بالخبر رفعاً لغة لبعض العرب.

وري أبو العباس ثعلب النحوي أن بعض العرب تعطف على اسم «إنَّ» قبل الاتيان بالخبر بالرفع لغة لبعض العرب، نحو قولك: إنَّ زَيْداً وعَمْرٌو قائمان».

فالعطف بالنصب هو اللغة المشهورة وذلك نحو قولك إنّ الكويت

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٣٤٨.
(٢) همع الهوامع مع ١ / ٢٣١ بتصرف.
(٣) مجالس ثعلب ١ / ١٢١.
(٤) همع الهوامع ٢ / ٤.

والأحمدي مدينتان والقاهرة ودمشق عربيتان وَهَلُمَّ جَرًّا[1]. وقد خطأ سيبويه العطف رفعاً، قال: وإعلم أن ناساً من العرب يغلطون فيقولون: إنك وزيدٌ ذاهبان[2].

٨ ـ نصب بعض الأسماء في لغة بعض العرب. عقب السيوطي حول قول العرب: «أعورَ ذَا ناب» قال: «هذا القول من كلام بني أسد، قالوا «أعور ذا ناب» بالنصب ـ وأصله أن بني عامر لما قاتلوا بني أسد، جعلوا في مقدمتهم عند اللقاء جملاً أعورَ مشوه الخلق، ذا ناب ـ وهو السّن ـ فقال ذلك منكراً عليهم، ولا يقاس هذا النوع إجماعاً، لا يقال أرضاً ولا جبلاً[3].

والحقيقة أننا لا نميل إلى رأي السيوطي فى ذلك لأن العرب قد تنصب أو ترفع طبقاً لما يتطلبه القول فأعور مفعول به لفعل محذوف تقديره انظروا، أو: وضعوا أو ما شابه ذلك من أفعال مناسبة. ونحب ان نقف قليلاً مع ظاهرة الحذف والذكر عند العرب. ولن نغالي إذ نقرر أن الحذف في لغة العرب يكاد يطغى على غيره من الظواهر النحوية المتباينة. وقد شمل معظم أبواب النحو كله ولكنه حَذْفٌ غالباً ما يكون مشروطاً. له دلائل وقرائن واضحة في أكثر الأحايين. وقد جاء ذلك في التنزيل، ولنقف مع بغض الآيات الكريمة على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الحصر فمن حذف المفعول في قوله تعالى: من سورة الضحى[4]، ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ﴾(الضحى ٣) أي: وما قلاك.

---

(١) مجالس ثعلب ١ / ٢٦٢

(٢) الكتاب ١ / ٢٩٠.

(٣) همع الهوامع ١ / ١٩٣، ١٩٤.
وانظر مزيداً من ذلك الحذف في معاني القرآن ج ٣ / ص ٤٧، ٤٨، ٥١ وما بعدها والآية ٢١ و (٢٣) من سورة الجاثية والآية رقم: (١٢) من سورة الأحقاف وانظر الخصائص ١ / ٢٥٠.

(٤) معاني القرآن ٣ / ٢٧٣.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيماً فَأَوَى﴾ أي فأواك «الضحى ٦» وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾ أي: فهداك (الضحى ٧). وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ أي: فأغناك (الضحى ٨).

ومن الأسماء التي حذف عاملها ما جاء في قول الأعرابي: «قال الأصمعي تزوج أعرابي امرأة، فقيل له: كيف وجدتها: قال: رَصُوفاً رَشُوفاً أَنُوفاً[1] فـ «رصوفاً رشوفاً أنوفاً، مفاعيل منصوبة لفعل محذوف وهذا كثير من كلام العرب والحقيقة أن للمنصوبان حظاً وافراً في النحو العربي. والمصادر المنصوبة التي تعرب مفعولاً مطلقاً كثيرة، نحب أن نذكر بعضاً منها ـ نحو: سُبْحَان، ومَعَاذَ وَسَرعان وشُكراً وحَمْداً، وعَفْوا، صَبْراً، عَجَبا، سَمْعاً، وخُصُوصاً، وعُمُوماً، وأَيْضَاً، ولَبيك وسعديك، وحنانيك، ودواليك وحذاريك وهَلُمَّ جَرّا؛ ومن الكلمات التي تعرب حالاً وعاملها محذوف أولاً وثانياً حتى عاشراً ومَعَاً وكافةً وعامةً وخاصةً وهنيئاً وجميعاً ومما كثر استعماله حديثاً نحو أدبياً ومعنوياً وسياسياً، ومادياً وغير ذلك كثير.

ومن الكلمات التي تعرب مفعولاً به نحو قولهم: أهلاً وسهلاً[2] ومَرْحَباً وَوَيلاً وَوَيْساً وَوَيْباً وكثيراً من المفاعيل المنصوبة في أساليب العرب كالاغراء والتحذير والاختصاص والظرف والنداء والترخيم وغير ذلك كثير.

ونحب ان نشير إلى كلمتين[3] «خاصة وعامة» حيث كثر على لسان

---

(١) مجالس ثعلب ١ / ١٨٨ فالرصوف والرشوف والأنوف من صفات المرأة التي تسعد الزوج في حياته الخاصة.

(٢) أعربها المبرد مفعولاً مطلقاً انظر ظاهرة الشذوذ ص ٢٢٣ وشرح الكافية ١ / ١٣٠.

(٣) ناقش المجمع اللغوي دخول الباء على كلمة خاصة واجازها والحقيقة ان الأمثلة التي ذكرت في هذا الشأن ضعيفة لا تمثل التراث انظر كتاب الالفاظ والأساليب ص ١١ ط المجمع

المحدثين دخول الباء عليهما والحقيقة أن دخول الباء عليهما ليس قياساً مطرداً. ولم نلحظ بعامة أما بخاصة فلم يستعملها سوى ثعلب الذي استخدمها في مجال المدح. وقد استخدمها الرسول محمد عليه السلام بدون الباء «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة»(١).

٩ ـ مجيىء الحال من العدد المعرف بالإضافة

ذكر سيبويه أن لأهل الحجاز لغةً في إضافة العدد إلى الضمير، وينصبونه على الحال: قال سيبويه: «شبهوا هذه الأسماء بالمصادر المعرفة وهي لغة لأهل الحجاز» إذ قيل مررت بهم ثَلاثَتَهم وأَرْبَعَتَهُـم وكذلك إلى العشرة (٢).

ثانياً: لغات العرب في المجرورات والحروف(١).

١ ـ مَعْ: اسم مبني على السكون في لغة رَبيعة وغَنَم

ذهب النحاة إلى القول بأن مع اسم لمكان الاجتماع، وهو معرب في لغات العرب إلاَّ في لغة رَبِيعة وغَنَمْ، فهو عندهم اسم مبني على السكون وذلك كقول الشاعر:

فَـرِيشِي مِنْكُم وَهَـوَايَ مَعْكُمْ وإنْ كَـانَتْ مَوَدَّتُكُمْ لِمَـامًا(٤)

---

(١) ينظر في هذا الشأن المنصوبات، شرح ابن عقيل وشرح الأشموني وأوضح المسالك وانظر نص حديث الرسول عليه السلام «من هدى السنة ص ٣١ من الكمات المستحدثة التي لم نلحظها عند القدماء بتوسع كلمات: أدبياً ومعنوياً وسياسياً أما بخاصة فلم نلحظ سوى ثعلب الذي استخدمها في مجال المدح فقط: قال: إذا ذكر االأشراف بخاصة علي، وإذ ذكر الصالحون بخاصة أبو بكر، ورأينا أن الأطلاق في استخدام «بخاصة» شاذ لغة، لأنه رأي انفرادي ولا يجوز التوسع في ربط كلمة «خاصة بالباء مطلقاً انظر مادة خصص لسان العرب وتاج العروس وتهذيب اللغة مج ٦ / ٥٥٢ والمعجم الوسيط خاصة وعامة وعموماً وخصوصاً ونحوهما «بتصرف».

(٢) الكتاب ١ / ١٨٧، ١٨٨.

(٣) جمعنا مع ظاهرة المجرورات بعض الحروف التي في حقيقتها لا تؤثر في الاتجاه الإعرابي.

(٤) ـ أوضح المسالك ٢ / ٢٠٩.

٢ ـ آل الحميرية:

روى النحاة أن قبيلة حمير تذهب إلى إبدال لام «ال» ميماً. وقد تكلم النبي ﷺ بهذه اللغة إذ روي عنه أنه قال: «لَيْسَ مِنَ امْبِرِّ امْصِيَامُ فِي امْسَفَرِ» وعليه قول الشاعر:

ذَاكَ خَلِيلِيَ وذُو يُوَاصِلُنِي   يَرْمِي وَرَائِي بِامْسَهْمِ وامْسَلِمَه[٣]

٣ ـ إضافة ياء المتكلم للاسم المقصور.

قال ابن عقيل: «وأما المقصور فالمشهور في لغة العرب جَعْلُه كالمثني المرفوع، فتقول: عَصَايَ وَفَتَايَ، وَهُذَيْل تقلب ألفه ياء وتدغمه في ياء المتكلم، فتقول: عَصَيَّ: ومنه قوله:

سَبَقُوا هَوَيَّ وأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ   فَتُخُرِّمُوا، وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ[٢].

٤ ـ الجر بـ «لَعَلَّ» عند عقيل.

المشهور في لغة العرب أن الحرف «لَعَلَّ» ينصب الاسم الذي يليه وهو، من أخوات «إن» إذ تقول لَعَلَّ الطَّالبَ ناجحٌ وَلَعلَّ مُحمداً ناجحٌ أما قبيلة عقيل فتجر بها قال شاعَرهم:

لَعَلَّ اللهِ فَضَّلَكُمْ عَلَيْنَا   بِشَيْءٍ أَنَّ أُمَّكُمْ شَرِيمُ

وقول الآخر: لَعَلَّ أَبي المغْوار مِنْكَ قَرِيبُ[٣] في لعل لغات: لَعَلَّ، عَلَّ، لَعَنَّ، عَنّ، لأَنَّ، أَنَّ، قال: عَل أَن أتقدم[٤].

---

(١) قطر الندى ١ / ١٥٨ وانظر الأشموني شاهد (٩٨) ومغني البيب ١ / ٤٨، ٤٩.
(٢) شرح ابن عقيل ٢ / ٩٠ وأوضح المسالك ٢ / ٢٣٩.
(٣) شرح الأشموني ٢ / ٢٨٤ وأوضح المسالك ٢ / ١١٧ ومغني اللبيب ١ / ٣١٧.
(٤) التوطئة ص ٢١٩.

٥ ـ الجر بـ «متى» لغة لقبيلة هُذَيل

ذهب النحاة إلى القول بأن قبيلة هُذَيل تعتبر «متى» حرفاً من حروف الجر كـ «من و«عن» «وإلى» و «في» وقد قال شاعرهم يصف سحابة:

شَرِبْنَ بِمَاء الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعْتَ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

وسمع من كلامهم: «أَخْرَجَها مَتَى كُمِّهِ، أي من كمه [1] .

٦ ـ الجر بلا التبرئة:

ذكر ثعلب أن بعض العرب تجر بـ «لا» التبرئه، ولكنه لم يذكر اسم القبيلة التي نسب إليها هذا الرأي قال: «الجر بلا التبرئة، وأنشد:

فَكَيْفَ بِلَيْلَةٍ لَا نَوْمَ فيها وَلَا قَمَرٍ لِسَارِيَها نُجُومُ

ولا قَمَرٍ بالجر، قال: «جعل (لا) التبرئة بمعنى غير[2].

٧ ـ تخفيف «لَمَّا» لغةٌ لقبيلة «هُذَيل».

قال الفراء: وقوله عَزَّ وَجَل﴿لَمَّا عليها﴾(الطارق ٤) وقرأها العوام «لَمَا» وخففها بعضهم، الكسائي كان يخففها، ولا نعرف جهة التثقيل ونرى أنها لغة لهُذَيل[3]» .

---

(١) شرح الأشموني ٢ / ٢٨٤ وأوضح المسالك ٢ / ١١٧ وقطر الندى ص ٣٥٢.

(٢) مجالس ثعلب ١ / ١٣١ لا التبرئة هي تسمية الكوفيين لـ«لا» النافية للجنس.

(٣) معاني القرآن ٣ / ٢٥٤.

الفصل الثالث

ظواهر لغوية متفرقة

أولاً: البناء والإعراب في بعض الأسماء.

اختلف أهل الحجاز وبنو تميم في بعض الأسماء إعراباً وبناءً، ولهم في ذلك لغات.

وإليك بعضاً منها. وبخاصة بعض الكلمات التي اختلفوا بها. والأسماء التي اختلفوا بها، هي ما جاءت على وزن «فَعَالِ» نحو: «حذَامِ» وما شابهها وزناً، وقد يأتي هذا الوزن اسماً لحيوان أو إنسان أو جماد ومن أسماء الحيوانات التي جاءت على الوزن السابق «جَعَارِ» اسم للضبع، وسَكَاب اسم لفرس، ومن أسماء الأناسي: حَذَام وَنَوَارِ وَقَطام ورَقَاشِ وَرَبَابِ أسماء لنساء عربيات وسَجَاح المرأة التي ادعت النبوية في عهد مسيلمة الكذاب ومن أسماء الجماد التي جاءت على الوزن السابق: سَفَارِ اسم لَماء، وحَضَارِ اسم لكوكب وظَفَار اسم لبلدة.

أ: لغة أهل الحجاز في «فَعَالِ».

قال ابن هشام: «أما باب حَذَامِ ونحوه، فأهل الحجاز يبنونه على الكسر مطلقاً أي: مهما كان أخره، فيقولون: جَاءَتْ حَذَامِ وَرَأيتُ حَذَامِ وَمَرَرْتِ بِحَذَامِ وعلى ذلك جاء قول الشاعر:

فَلَوْلَا الْمُزْعِجَاتُ مِن اللَّيَـالِي   لَمَا تَرَكَ القَـطَا طِيبَ الْمَنَامِ
إِذَا قَـالَتْ حَذَامِ فَصَـدِّقُـوهَـا   فَـإِنَّ الْقَوْلَ مَـا قَالَتْ حَـذَامِ

فذكرها في البيت مرتين مكسورةً، مع أنها فاعل[1].

ب ـ لغة بني تميم.

افترقت بنو تميم فرقتين: فبعضهم يعرب ذلك كله بالضم رفعاً، وبالفتح نصباً وجراً معاملة الممنوع من الصرف. فتقول على لغتهم: جائتني حَذَامُ ـ بالضم ورأيت حَذَامَ ومررت بِحَذَامَ بالفتح، وأكثرهم يفصل بين ما كان آخره راء كَوَبار اسم لقبيلة، وحَضَار اسم لكوكب وسَفار اسم لماء.

فيبنونه على الكسر كالحجازيين، وما ليس آخر راء كَحَذَام وقَطَامِ فيعربونه إعراب ما لا ينصرف[2]. قال سيبويه فيما آخره راء: «فأما ما كان آخره راء، فإن أهل الحجاز وبني تميم فيه يتفقون، ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز[3] قال أبو زيد: ولك ما يبنى من هذا الباب فهو معدول عن فاعله ومعناها مفهوم ألا ترى أن حَذَام معدولة عن حاذمة وحاذمة مفهومة المعنى[4].

٢ ـ أمْسِ في لغات العرب (أهل الحجاز).

ذهب النحاة إلى القول بأن أهل الحجاز يبنونه على الكسر مطلقاً، وذلك إذا أردت به اليوم الذي قبل يومك، فيقولون: مَضَى أَمْسِ واعتكفت أَمْسِ وما رأيته مذ أَمْسِ بالكسر في الأحوال الثلاثة، قال الشاعر:

---

(١) قطر الندى ١ / ١٧ بتصرف وانظرا الكتاب ٢ /٤٠ وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٩٨، ٢٩٩.
(٢) قطر الندى ١ / ١٨ وما بعدها بتصرف.
(٣) الكتاب ٢ / ٤٠، ٤١.
(٤) النوادر لأبي زيد ص ١٦.

مَنَـعَ الْبَقَـاءَ تَقَلُّبُ الشَّمْسِ　　وَطُلُوعُهَا مِن حَيْثُ لا تُمْسِي

وَطُلُوعُهـا حَمْـرَاءَ صَـافِيَـةً　　وَغُـرُوبُهَا صَفْـرَاءَ كَـالْـوَرْسِ

الْيَـوْمُ أَعْلَمُ مَـا تَجِيءُ بِـهِ　　وَمَضَى بِفَصْـلِ قَضَائِـهِ أَمْسِ

فأمس في البيت مكسورة كما ترى وهو فاعل لمعنى.

أمس في لغة بني تميم

افترقت بنو تميم فرقتين: فمنهم من أعربه بالضم رفعاً وبالفتحة نَصْباً وَجَرْاً نحو قولك: مَضَي أَمْسُ بالضم، واعتكفت أَمْسَ وما رأيته مُذْ أَمْسَ: قال الشاعر:

لَقَـدْ رَأَيْتُ عَجَبـاً مُـذْ أَمْسَـا　　عَجَائِزاً مِثْـلَ السَّعَالِي خَمْسَـاً

يَـأْكُلْنَ مَا فِي رَحْلِهِنَّ هَمْسـا　　لَا تَـرَكَ اللهُ لَهُنَّ ضِـرْسـاً

ولا لَقِينَ الدَّهْرَ إِلَّا تَعْساً [1]

٣ ـ لغة في الممنوع من الصرف.

الممنوع من الصرف عند العرب هو الممنوع من التنوين. وقد حدد العرب مجموعة من الأسماء منعت من الصرف لوجود علل متباينة، حددها النحاة تحديداً منطقياً.

وقد أجاز النحاة صرف ما لا ينصرف للضرورة أو للتناسب. أما الأطلاق فهو لغة لبعض العرب كما روي جلال الدين السيوطي: قال «زعم قوم أن صرف ما لا ينصرف مطلقاً أي في الاختيار لغةٌ لبعض العرب حكاها الأخفش كانت هذه اللغة لغة الشعراء لأنهم اضطروا إليه في الشعر فجرت ألسنتهم علي ذلك في الكلام [2].

(١) قطر الندى ١ / ٢٢ بتصرف وانظر الكتاب ٢ / ٤٣ ط بولاق والمقتضب ٤ / ٣٣٤.
(٢) همع الهوامع ١ / ٣٧ بتصرف.

٤ ـ استعمال الكاف إسماً في لغة بعض العرب.

قال ابن عقيل «استعمل الكاف إسماً كقوله:

أَتَنْتهونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوُي شَطَطٍ　　　كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ والفُتْلُ

فالكاف اسم مرفوع علي الفاعلية والعامل فيه ينهي، والتقدير «ولن ينهي ذوي شطط مثل الطعن[1].

ثانياً: لغات العرب حول بعض الأفعال:

يلحظ الدارس للنحو العربي أن هناك خلافاً في بعض أبنية الأفعال عند العرب وفي لغاتهم. والحقيقة ـ كما يبدو لنا في هذه الدراسة ـ أن كثيراً من الكلمات العربية قد أهملت استعمالاً وأضحت نسياً منسياً في متون المطولات العربية والمعاجم اللغوية.

وقد ذكر بعض العلماء أن كلام العرب «تقريباً» ٦٦٥٩٤٠٠ كلمة يستعمل من هذا الكم ٥٦٢٠ كلمة[2] وقد قدم بعض الباحثين إحصائية للجذور الثلاثية والرباعية والخماسية لمعجم تاج العروس مع مقارنة لمعجمي اللسان والصحاح، وكانت النتيجة كالآتي:

اسم المعجم	الثلاثي	الرباعي	الخماسي	المجموع
تاج العروس	٧٥٩٧	٤٠٨١	٣٠٠	١١٩٧٨
لسان العرب	٦٥٣٨	٢٥٤٨	١٨٧	٩٢٧٣
الصحاح	٤٨١٤	٧٦٦	٣٨	٥٦١٨[3]

---

(١) تاريخ آداب العرب ١ / ٩٩.

(٢) شرح ابن عقيل ٢ / ٢٧، ٣٨.

(٣) دراسية احصائية لجذور معجم تاج العروس ص ٩ وما بعدها وانظر فقه اللغة وخصائص العربية. ص ٢ ١٢٩ عدد الأبنية عند سيبويه (٣٠٨) وابن القطاع (١٢١٠).

ويتضح لنا مما سبق أن المستعمل من اللغة يمثل كما ضئيلاً، وإن الثلاثي من الأفعال يمثل النسبة الغالبة يليه الرباعي ثم يأتي الخماسي في الضمور.

١ ـ لغات العرب في الفعل «عسى».

ذهب النحاة إلى القول بأن في «عسى لغتين:

الأولى: لغة بني تميم.

إذا تقدم على «عسى » اسم جَازَ أن يضمر فيها ضمير يعود على الاسم السابق: وذلك نحو قولك: هِندٌ عَسَى أن تقوم، والزيدان عَسَيا أَنْ يقوما، والزيدون عَسَوْا أَنْ يَقُومُوا، والهنداتُ عَسَيْنَ أن يَقُمْنَ.

اللغة الثانية لأهل الحجاز:

أما «عسى» في لغة أهل الحجاز فلا إضمار فيها، فتقول على لغتهم، :

هند عَسَى أن تقوم، والزيدان عَسَى أَنْ يَقُوما، والزيدون عسى أن يقوموا والهندان عسى أَنْ تَقُومَا، والهنداتُ عَسَى أَنْ يَقُمْنَ. وإذا ما وقفنا مع هذه الجملة عند بني تميم والحجازيين «زيد عسى أن ينجح » فعلى لغة تميم، يكون في «عسى» ضمير مستتر يعود على زيد، وأن ينجح» في محل نصب بـ «عسى» وعلى لغة أهل الحجاز في المثل نفسه» زيد عسى أن ينجح» فجملة «أن ينجح» في محل رفع بـ «عسى»[1].

وقد ذكر ابن السراج اللغتين السابقتين في «عسى» دون أن ينسبهما لقبائل عربية معينة، قال: «ومن العرب من يقول: عَسَى، عَسَيا، عَسَوُا وعَسَتْ وعَسَتَا وَعَسَيْنَ ومن العرب من يقول: «عَسَى يفعل»[2].

---

(١) شرح ابن عقيل ١ / ٣٤٣ بتصرف والأشموني ١ / ١٣٣ وحاشية الشيخ ياسين ١ / ٥٠.

(٢) الموجز ص ٣٣، الصاحبي ١٥٧، والمقتضب ٣ / ٦٨ والكتاب ٣ / ١٥٨ ط هارون

وقد ذكر أبو حيان أن في عسى لغتين من حيث البناء: ، قال أبو حيان: «في عسى لغتان» بفتح العين مثل «قَضَى» وبكسرها مثل «رَضِي»[1] أما حول اقتران خبرها بأن، قال سيبويه: «وإعلم أن من العرب من يقول: عسى يفعل «يشبهها بكاد يفعل» [2] وذكر الشيخ ياسين رأياً حول عسى قال: إنَّ محل الخلاف في عسى الجامدة، أما عسى المتصرفة ففعل باتفاق ومعناها «اشتد» وقال:

لَـوْلَا الْـحَيَـاءُ وإنْ رأْسِـي قَـدْ عَسَـى
فِيــه المَشيـبُ لَــزُرْتُ أُمَّ الْقَـاسِـمِ [3]

٢ ـ اقتران خبر كاد بأن لغة حجازية.

القياس عند النحاة ألا يقترن خبر «كاد» بأن وقد جاء به القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[4]، ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[5]، ﴿مِن بَعْد مَا كَادَ يَزيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾[6] وقول الشاعر:

حَيُّوا الْمَقَامَ وحَيُّوا سَاكِنَ الدَّارِ ... مَا كِدْتُ تَعْرِفُ إلَّا بَعْدَ إنْكَارِ[7]

قال سيبويه: وأما كَادَ فأنهم لا يذكرون فيها «أن»[8] . . . وعقب على الاقتران بقوله «وقد جاء في الشعر كاد أن يفعل شبهوه بـ «عسى» قال رؤبة:

قَدْ كَادَ مِن طُولِ الْبلى أنْ يَمْحَصَا[9]

(١) ارتشاف الضربة ورقه، ١٦٩ وشرح المقدمة النحوية (ورقة ٩٧).
(٢) الكتاب ٣ / ١٥٨ ط هارون.
(٣) حاشية الشيخ ياسين ١ / ٥٠.
(٤) سورة النور آية رقم ٤٠.
(٥) سورة البقرة آية ٧١.
(٦) التوبة آية ١١٧.
(٧) الصاحبي ص ١٦٠، وشرح ابن عقيل ١ / ٣٣٠ والجمل ورقة ٤١.
(٨) الكتاب ٣ / ١٥٩، والمقتضب ٣ / ٦٨ بتصرف.
(٩) الكتاب ٤/ ١٦٠ ط هارون

والحقيقة أن اقتران خبر «كاد» بأن هو لغة عند أهل الحجاز، وجاء ذلك على قول الرسول العظيم محمد ﷺ: مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ الْعَصْرَ حَتى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ» وعلى ذلك قول الشاعر:

كَادَتْ النَّفْسُ أَنْ تَفِيضَ عَلَيْهِ   إِذَا غَدَا حَشْوَ رَيْطَةٍ وَبُرُودِ[1]

٣ ـ لغات في الفعل «نِعْمَ».

قال ابن عصفور: «في نعم أربع لغات».

الأولى: كسر النون وتسكين العين «نِعْمَ» وهو الأكثر.

الثانية: فتح النون وتسكين العين «نَعْمَ».

الثالثة: فتح النون والعين «نَعَمَ».

الرابعة: فتح النون وكسر العين «نَعِمَ». أمابئس.

ففيها لغتان: كسر الباء «بِئْسَ» وفتح الباء أيضاً «بَئْسَ»[2].

٤ ـ التعدي واللزوم في بعض الأفعال:

لعب التضمين عند النحاة دوراً هاماً وبخاصة في مسألة التعدي واللزوم وذلك بحروف جر متغايرة لفظاً ومتفقة معنىً. ونحب في هذا الشأن أن نقدم بعض الشواهد، وذلك على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الحصر.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسَّمَعونَ إلى الملأِ الأَعْلَى﴾[3] أي: لا يصغون وقولهم في الصلاة: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِده»[4] أي استجاب، فعدي

---

(١) شرح ابن عقيل ١ / ٣٣٠ بتصرف.

(٢) المقرب ١ / ٦٦ بتصرف وحاشية الشيخ ياسين ١ / ٥٠ وانظر الإنصاف مسألة (١٤) والجمل ورقة ٢٤.

(٣) سورة الصافات (٨).

(٤) مغني اللبيب ٢ / ٧٦٣ وانظر التضمين في النحو ورقة ١٥.

الأول بإلى «وفي الثاني: باللام وإنما أصله أن يتعدى بنفسه مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعونَ الصحيةَ﴾(١) وقولـه تعالى: ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾(٢) والحقيقة أن ذلك يعود إلى لغة العرب من حيث ترادفها وتوسعها اشتقاقاً. ونحب في هذا الشأن أن نقدم بعض الأفعال التي اشتهرت بتعديتها بطرق متباينة ومن هذه الأفعال تتعدى بنفسها تارةً وتارةً أخرى بحرف جر مع الاحتفاظ بالمعنى نفسه، : نحو: شكرتك وشكرت لك وَنَصَحْتُكَ وَنَصْحَتُ لَك، واسْتَجَبْتُ لَكَ وَاسْتَجَبْتُك، وَمَكَنْتُكَ وَمَكَنْتُ لَكَ واشْتِقْتُكَ واشْتِقْتُ لَكَ، وَبَلَغْتُكَ وَبَلَغْتُ لَكَ. وهَدَيْتُهُ الطَّريقَ وهَدَيْتُه إلى الطريقِ، وعَدَدْتُكَ مائةً وعَدَدْتُ لَكَ، واخترت الرجال زيداً واخترت من الرجال زيداً، قال الله جل ثناؤه: ﴿واخْتَارَ مُوسى قُوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً﴾(٣) ومما جاء في باب فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ باتفاق المعنى: جَدَّ فلان في أَمْرِه وأجد في أمره، ضَاءَ القمرُ وأَضَاءَ القمرُ، سلكته وأَسْلَكْتُه خلف وأخلف، خلق الثوب وأخلق، سمح الرجل وأسمح، يَنَعَتْ الثَّمرةُ وأَيْنَعت، قَطَرْتُ عَلَيه الماءَ وأقطرتُ، عَصَفَتْ الريحُ وأَعْصَفَتْ، قصر عنه وأقصر، ذَرَتْ الريحُ وأذرت الريح، ثَرِيَ الرجلُ وأَثْرَى الرجلُ إذا أيسر ضب الرجل وأضب إذا سكت(٤).

وقد نسب الفراء ظاهرة التثقيل في (فَعَلَ) إلى اللغة اليمانية(٥) وأن المعنى واحد، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾ قال الفراء:

(١) سورة «ق» ٤٢.

(٢) سورة البقرة ٢٢٠.

(٣) أدب الكاتب ٤١٩ بتصرف وتهذيب اصـــلاح المنطق مج ورقة ٣٧٦ ووصف التعدي بالحرف لغة فصيحة ورسالة في النحو والصرف ورقة ٩.

(٤) أدب الكاتب ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥ بتصرف وانظر مزيداً من ذلك ص ٤٣٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧.

(٥) سورة عم آية - ٢٨ -.

«وأن التثقيل لغة يمانية . . خففها علي بن أبي طالب رحمه الله ونقلها عاصم والأعمش وأهل المدينة والحسن البصري، وهي لغةٌ يَمانية فصيحة، يقولون: كَذَّبْتُ به كِذَّاباً، وخَرَّقْتُ القميص خِرَّاقاً، وكل فَعَّلْتُ في لغتهم فمصدره «فِعَّال» في لغتهم [1] ويقال: طَهَرَتْ المَرأة وَطَهُرَتْ، لغتان والفتح أكثر، وَطلُقَتْ وَطَلَقَتْ والضم أكثر ويقال: قَبِلَت فلاناً وقَبِلَتْ به واحد[2].

٥ ـ بناء الفعل الأجوف للمجهول:

جاء في لغة بني دُبَيْر وبني فَقْعَس ـ وهما من فصحاء بني أسد ـ أن الفعل المبني للمفعول إذا كان ثلاثياً معتل العين، يجب ضم فاؤه مطلقاً. نحو قال، وباع فتقول: قُولَ و «بُوعَ» ومنه قول الشاعر:

لَيْتَ شَبَاباً بُوعَ فَاشْتَرَيْتُ لَيْتَ وَهَلْ يَنْفَعُ شَيْئاً لَيْتُ

قصد الشاعر لفظ «لَيْتَ» فصيرها اسماً، وأعرابها، وجعلها فاعلاً، ومثل هذا في ليت قول الشاعر:

لَيْتَ شِعْرِي، وأَيْنَ مِنِّي لَيْتُ
إنَّ لَيْتاً وإنَّ لَوْاً عَنَاءُ [3]

٦ ـ الادغام في الفعل المضارع المضعف:

ذكر النحاة أن الأدغام في الفعل المضارع المضعف هو لغة لبنبي تميم ومن ذلك قوله تعالى: قال يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ [4] وقد قرأ

---

(١) معاني القرآن ٣ / ٢٢٩ وانظر شبيها للرأي السابق ٣ / ٢٤٤، «الذي خلقك فسواك فعدلك» آية (٧) المطففين و ٣ / ٢٨٥ نحو قوله تعالى فوسطن به جمعاً ـ العاديات (٥).

(٢) مجالس ثعلب ص ٣٠١.

(٣) شرح ابن عقيل وهامشه ١ / ٥٠٣، ٣٠٤ بتصرف.

(٤) سورة يوسف آية رقم (٥).

زيد بن علي مدغماً، وهي لغة لبني تميم والفك عند الجمهور[1].

٧ ـ إجراء الفعل. . . . . «قال مجرى الظن لبني سُلَيم.

ذكر النحاة أن مذهب سُلَيم في الفعل «قَال» هو أن يجري مجرى الظن في نصب مفعولين مطلقاً. أي سواء كان مضارعاً أم غير مضارع نحو:

قُلْ ذَا مُشْفِقَاً، فـ «ذا» مفعولُ أول ومشفقاً «مفعول ثان» ومن ذلك قوله:

قَـالَتْ وكُنْتُ رَجُـلاً فـطِينـاً هَـذَا لَعَمْـرُ اللهِ إسْـرَائِينَـا

فـ (هَذَا) مفعولُ أولُ و (إسرائينا) مفعول) ثان. . ومذهب غيرهم أن تكون قال بلفظ المضارع نحو قول الشاعر:

أَجُهَّـالاً تَقُـولُ بَـنِي لُـؤَيٍ لَعَمْـرُ أَبِيكَ أَمْ مُتَجَـاهِلِينَـا[2]

٨ ـ لغات العرب في «حَسِب، ونَعِم، ويَئِس ويَبِسَ.

نود أن نشير إلى أننا إذا أردنا أن نتحدث عن فعل من الأفعال السابقة نحب أن نبين أن الأفعال الباقية التي جاءت في بابه تنطبق عليه، وقد ذكرت معظم الكتب النحوية والصرفية معاً أن بناء الفعل (حَسِب) يأتي مكسور العين في المضارع نحو قولكَ حَسِبَ يَحْسِبُ ولكننا عندما نقف مع القراءات القرآنية نلحظ أن كل الآيات التي ذكر فيها مضارع (حَسِب) جاء مفتوح العين، [3].

نحو قوله تعالى :﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾[4]».

---

(١) القراءات واللهجات ص ٣٩ بتصرف.

(٢) شرح ابن عقيل ١ / ٤٤٨ ـ ٤٥٠ وشرح أبيات سيبويه ١ / ١٧٥.

(٣) المعجم المفهرس للألفاظ القرآن.

(٤) سورة الهمزة آية رقم (٣).

(١)

الحقيقة أن القياس في حَسِب يَحْسِبُ كسر العين في المضارع وهي لغة حجازية وهي لغة رسول الله ﷺ والفتح لُغَيَّة وبه أخذ عاصم وابن عامر وحمزة فإن قيل لِمَ قُرِئ: يَحْسِبُ بكسر السين، والماضي مكسور، «حَسِبَ» والعرب إذا كسرت الماضي فتحت المضارع نحو: عَلِمَ، يَعْلَمُ وقَضِمَ يَقْضَمُ؟ فالجواب في ذلك أن أربعة أحرف جاءت عنهم على «فَعِلَ» «يَفْعِلُ»، حَسِبَ، يَحْسِبُ نَعِمُ، يَنْعمُ يَئِسَ «يَيْئِسُ»، ويَبِسَ، يَيْبِسُ والفتح فيهن لغية[1] ولم نلحظ ذلك عند الفراء ربما لاعتبارها قاعدة مطردة والفتح فيها قراءة[2].

٩ ـ الغاء الظاهرة الزمنية في بعض الأفعال.

قبل أن نختم حديثنا عن الأفعال عند القبائل العربية نُحبُّ أن نقدم بعض الآراء التي ذكرت أن الظاهرة الزمنية تُلْغَي وذلك في حالات خاصة.

أ ـ إسناد كان إلى لفظ الجلالة تجردها من الزمن الماضي، ولنقف مع قوله تعالى في بعض الآيات: قال تعالى:

﴿وَللهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (الفتح ٧).

﴿بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (الفتح ١١).

﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (الفتح ١٤).

﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيّءٍ عَلِيمَا﴾ (الفتح ٢٦).

وهذا الرأي ليس وقفاً على الاستعمال القرآني فحسب بل يأتي في أقوالنا حيث نقول لمن أراد السفر، «كان الله في عونك»[1] عند اسنادنا للفظ الجلالة.

---

(٤) إعراب ثلاثين سورة ص ١٨٢ ١٨٣ بتصرف.

(٥) معاني القرآن ٣ / ٢٩٠.

(١) انظر «مقالا بعنوان» من أسرار العربية في البيان القرآني للدكتورة بنت الشاطىء «اللسان العربي ص ١٠ الرباط المغرب.

ب ـ وما أَدْرَاكَ وَمَا يُدْرِيكَ.

قال الفراء: «كل ما كان في القرآن من قوله» وَمَا أَدْرَاكَ «فقد أدراه، وما كان من قوله «وَمَا يدريك» «فلم يدره» وذلك نحو قوله تعالى:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (القدر ٢) وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يزَّكَّىٰ﴾ (عبس ٤).

ثالثاً: أسماء الأفعال.

١ ـ هَلُمَّ:[١]

للعرب في هَلُمَّ لغتان: الأولى اللغة الحجازية، وهي عندهم اسم فعل أمر، ولا يختلف لفظها إذ تلزم طريقةً واحدةً كأسماء الأفعال الأخرى فتقول:

هَلُمَّ يَا زَيْدُ وهَلُمَّ يَا هِنْدُ
هَلُمَّ يَا زَيْدانِ وَهَلُمَّ يَا هِنْدَانِ
هَلُمَّ يَا زَيْدُونَ وَهَلُمَّ يَا هِنْدَاتُ

وبها جاء التنزيل نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاكُمْ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿والقَائِلِينَ لأَخْوَانِهم هَلُمَّ إلَيْنَا﴾[٣].

اللغة الثانية في «هَلُمَّ».

هي لغة لبني تميم، وهي عندهم فعل أمر تلحقها الضمائر البارزة بحسب من هي مسندة إليه، فتقول: هَلُمَّ وَهَلُمَّا، وَهَلُمُّوا، وَهَلمُمْنَ وَهَلُمِّي وهي عندهم فعل آمر، لدلالتها على الطلب وقبولها ياء المخاطبة وقد روي عن

---

(١) الكتاب ٢ / ١٥٨ بولاق وشرح السيرافي في ورقة ١٠٨.
(٢) سورة الأنعام آية (١٥٠).
(٣) الأحزاب ـ ١٨ ـ.

الرسول ﷺ أنه استخدم هذه اللغة،

قال محقق قطر الندى «وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه «هَلُمُّوا أَكْتُبَ لَكُمْ كِتَاباً لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ[1].

٢ ـ شتانَ وهيهاتَ.

تأتي شتانَ وهيهاتَ على لغتين:

الأولى: شتانَ وهيهاتَ بفتح نون الأولى والتاء في الثانية.

الثانية: شَتَّانِ وهَيْهَاتِ بكسر النون والتاء.

ومن ذلك قول الشاعر:

شَتَانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا
وَيَوْمَ حَيَّان أَخْفَى جَابِر

وقول الآخر:

فَهَيْاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وأهْلُه
وهيهات خِلٌّ بالعَقِيقِ تُوَاصِلُهْ[2]

رابعاً ـ ظواهر نحوية مختلفة

نحب أن نبين بعض الظواهر اللغوية المختلفة التي يصادفها القارىء العربي في كتب التراث أو قرآننا الكريم.

---

(١) قطر الندى ١ / ٤٠.

(٢) المقرب ١٣٣، ١٣٤ بتصرف والخصائص ١ / ٣٢٣.

١ ـ حذف بعض أواخر الكلمة:

جاء في بعض القراءات القرآنية حذف بعض الحروف من الكلمة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وإذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فإِنِّي قَرِيبٌ أُجيُبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1].

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُم يَوَمَ يَدْعُ الدَّاعِ إلى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾[2].

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتْعَالِ[3]﴾.

إذا ما وقفنا مع الآيات السابقة نلحظ أن كلمة «الداعي» قد حذف منها الياء، وكذلك مع كلمة «المتعال» حيث كتبت بدون ياء. والحقيقة أن الحذف والإثبات في الأسماء السابقة هو لغةٌ من لغات العرب. وهي أسماء منقوصة، أما القياس في هذه الأسماء فهو إثبات الياء إذا كان الاسم المنقوص معرفاً بال، نحو القاضي، والجاني ونحوهما. فنقول علي هذه اللغة: جاء القاضي والجاني، بإثبات الياء أما الحذف فقد يأتي إذا كان الاسم المنقوص نكرةً أي ليس معرفاً بال، نحو قولك: حَكَمَ قَاضٍ عَلَى جَانٍ وروي أن ابن كثير ويعقوب قد قرآ باثبات الياء وقرأ الباقون بالحذف[4] وقد تحدث الرضي عن هذه اللغة «يجوز إثباتها كقراءة ابن كثير» ولكل قوم هادي، وما لَهُم من دونه مِن والي، وإذا كان غير منون فالأفصح اثبات يائه، مثل جاء القاضي، جوز حذفها كقوله «وهو الكبير المتعال»[5] ولم نلحظ في أثناء قراءتنا لبعض من أعربوا القرآن الكريم أنهم ذكروا هذه القاعدة ويبدو أنها قاعدة مطردة في عصرهم

---

(١) البقرة (١٨٦).

(٢) القمر ـ ٦ ـ.

(٣) الرعد ـ ٩ ـ. فهرس شواهد سيبويه ٢٩.

(٤) فهرس شواهد سيبويه ص ٢٩ والكتاب ٢ / ٢٨٩.

(٥) شرح الشافية ٢ / ١٩١، ١٨، ٢٠٨.

على الأقل[1].

٢ ـ الوقف على المنون المنصوب عند ربيعة.

أجازت قبيلة ربيعة الوقف على المنون المنصوب كما يوقف على المنون المرفوع والمجرور وذلك نحو قولك: رأيْتُ مُحَمَدْ وَزَيدْ، قال الرضي فإنهم يجيزون تسكين المنصوب[2] ومن العرب من يبدل هاء التأنيث في الوقف تاء وسمع بعضهم يقول يا أهل سورة البقرت.

٣ ـ حذف بعض أواخر الأفعال دون علل نحوية.

ذكر سيبويه أن الحذف في أواخر الأفعال دون عوارض نحوية يأتي لفواصل الكلام[3] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[4].

وقد عقب الفراء على الحذف في الآية السابقة: «كتبت بحذف الياء، فالوجه فيها أن تثبت الياء إذا وصلت، وتحذفها إذا وقفت، والوجه الآخر أن تحذفها في القطع والوصل، قرأ بذلك حمزة وهو جائز[5].

ومن ذلك قوله تعالى: «يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ﴾[6] وهذا الحذف قراءة قال الفراء: «كتبت بغير الياء وهو في موضع رفع، فإن أثبت فيه الياء إذا وصلت القراءة كان صواباً، وإن حذفتها في القطع والوصل كان صواباً. قد قرأ القراء بذلك، فمن حذفها إذا وصل قال: «الياء ساكنة، وكل ياء أو واو تسكنان وما

---

(١) مشكل إعراب القرآن ١ / ١٢٢ والبيان في إعراب غريب القرآن ١ / ٤٣ واملاء ما من به الرحمن ١ / ٨٣.

(٢) شرح الشافية ٢ / ٩٩١ وجامع الدروس العربية ٢ / ١٣١ وتاريخ آداب العرب ١ / ١٥٨.

(٣) الكتاب ٤ / ١٨٥ ط هارون.

(٤) سورة الكهف آية رقم ٦٤.

(٥) معاني القرآن ٢ / ٢٧.

(٦) سورة هود آية ١٠٥.

قبل الواو مضموم وما قبل الياء مكسور، فإن العرب تحذفها وتجتزىء بالضمة من الواو وبالكسرة من الياء وانشد:

كَفَّـاكَ كَفٌّ مَـا تُلِيقُ دِرهَمـاً   جُوداً وأُخْرَى تُعْطِ بالسَّيْفِ الدَّمَا [1].

٤ ـ جمع ابن المضاف لغير العاقل:

ذهب النحاة إلى القول بأنَّ العرب تجمع ابن المضاف إلى غير العاقل علي بنات، قال ثعلب «ابن عِرْس وابن نَعْش وابن آوى وابن قِتْرَة وابن تَمْرة وابن أَوْبَر قال: «هولاء الأحرف واحدهن مذكر وجماعتهن مؤنثة، لأنهن لسن من جمع الناس إذا قلت ثلاث أو أربع أو خمس قلتها بالتاء[2]».

ولتوضيح رأي ثعلب الكوفي في هذا الشأن نحب أن نقدم بعض الأمثلة على ذلك نحو: رأيت ثلاثة من بنات آوى وأربعة من بنات عرس وخمسة من بنات قِتْرةٍ وبذلك نعود لقاعدة العدد بالنسبة للمفرد.

لغات العرب كَمًا وكَيْفاً.

يبدو لنا من هذه الدراسة الميدانية أن هذه اللغات التي دونها العلماء في متونهم وأطلقوا عليها مصطلح اللغات، لم تؤثر تأثيراً كبيراً في المسار النحوي العام، وقد بقي تأثيرها محدوداً، ما عدا ما جاء على لغات أهل الحجاز وبني تميم وأيده القياس كما حدث في «ما» و«لا» و«إنْ» المشبهات بليس ولغات العرب في الأسماء الستة والمثنى وملحقة، وخبر لا النافية للجنس

---

(١) معاني القرآن ٢ / ٢٧

(٢) مجالس ثعلب ص ٣٠١، ٣٠٢ ابن نعش من النجوم وابن قترة حية صغيرة وابن تمرة عصفور صغير معتاد على حمل تمرة في فمه. نقل السيوطي عن القالي: «كل جمع من غير الأنس والجن والشياطين والملائكة يقال فيه بنات ونقل عن اليزيدي: يقال ابن آوى وأبناء أوي وبنو أوى وبنات آوى المزهر ١ / ٥٢٣.

وبعض الآراء المستخدمة بقلة.

أما بقية ما ذكر من لغات فهو في الحقيقة قليل الاستعمال في الحياة اليومية إلا ما جاء على لسان أديب أو شاعر، دعاه هذا الاستخدام إمّا لضرورة وأما لإبراز ثقافته اللغوية نحو «اللغة الثانية في المثنى «وهي إلزام الألف مطلقاً» رفعاً ونصباً وجراً أو اللغة الثانية في الأسماء الستة أو إعراب «كلمة»، «سنين» بالحركات الظاهرة، أو حذف نون المثنى في لغة بني عقيل، ونصب غير مطلقاً في الاستثناء، وغير ذلك من الظواهر النحوية المتباينة.

أما ظاهرة الكم فهي في الحقيقة لا تمثل نسبة غالبة قياساً للأثر النحوي القياسي. وهذا ما قاله أبو عمرو ابن العلاء عندما سُئِلَ عَمّا يفعل فيما يقابله من لغات «إذ قال» أقيس على الأكثر وأسمي ما خالفي لغات»[1].

ويجدر بنا في هذا الشأن أن نشير إلى حقيقة حرية بالاعتبار وهي أن بعض الآراء التي ذكرتها في هذا البحث لم نجدها عند سيبويه والمبرد في كلا الكتابين «الكتاب» والمقتضب، نحو لغات العرب في المثني، وهي اللغة الثالثة حيث ذكر ناقلو هذا الرأي أن المثني يرفع بحركات ظاهرة على النون في جميع الأحوال كأنه اسمٌ مفرد. ونظن أن هذه اللغات استحدثت بعد خروج بعض القبائل العربية من الجزيرة العربية واتخذت مصر والشام وبرقة موطناً لها مثل بعض بني أسد وبكر بن وائل وزبيد وهذيل وبعض بني سعد[2].

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ٣٤ بتصرف.

(٢) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٢٩١ ـ ٣٠٨ بتصرف والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام مج ٨ / ٥٨٩ انظر علي سبيل المثال: تاريخ آداب العرب ١ / ٢٤٨ ـ ٢٥٠ وقيل عن صاحب التاج: إنه ليعرض أحياناً لبعض الجذور العامية التي يجدها في لسان أهل مصر أو غيرهم من أبناء الوطن العربي، ويورد استعمالاتها كما سمعها في ضوء المأثور عن الفصحاء. انظر دراسة احصائية لجذور معجم تاج العروس ص ٩.

حيث بدأ شراح الألفية بصفة خاصة وشراح الحواشي بصفة عامة يتفننون في كتابة المطولات أمثال ابن هشام المتوفي ٧٦١ هـ وابن عقيل المتوفي ٧٦٩ ومن تلاهما كالأشموني المتوفي ٩٠٠ هـ والسيوطي المتوفي ٩٠٥ هـ وأصحاب الحواشي كالخضري والشيخ ياسين العليمي وأحمد السجاعي والصبان. وأكبر الظن أن هؤلاء العلماء قد تأثروا بلغات عصرهم، وبخاصة لغات القبائل التي هاجرت من الجزيرة العربية. يضـاف إلـى ذلك أن مكانة مصر والشام العلمية أخذت في النمو والازدياد بعد سقوط بغداد والأندلس، بل زادتا عليهما، فلا غرو أن القطرين كانا ملتقي علماء المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، وبخاصة بعد هجرة عالمين كبيرين إليهما، وهما ابن مالك وأبو حيان، وهما عالمان بارزان في النحو العربي خاصة إذ تركا أثراً جعلهما من علماء العربية الخالدين ـ. كما شجع المماليك اللغة العربية تأليفاً بعد أن تولوا أمر البلاغ بعد الأيوبيين سنة «٦٤٨ هـ واتخذوا القاهرة قاعدة لهم[١] لهذه الأسباب مجتمعة ـ كما يبدو لنا ـ أخذ العلماء يتفننون في كتابة المطولات واللجوء إلى الحواشي حتى وصل عدد الشروح على الألفية إلى خمسين شرحاً وثلاثَ عشرةَ حاشيةً وثلاث تعليقات وهذه الأحصائية مآخوذة من كتاب حاجي خليفة المتوفي ١٠٦٧ هـ يعني قبل ثلاثة قرون تقريباً، وربما زادت على ذلك بعد هذا التاريخ[٢] وهذه الشروح لم ينلها أي كتاب نحوي حتى الآن ومعظم هذه الحواشي . . . . . . لـم تزد النحـو إلا هَمّاً وكَمّاً.

ونحاول أن نقف مع رأيٍ لِعَالمٍ نَحْوِي ذكره في مخطوط له وهو يحاول أن يعقب علي قول في الآذان قال «بعض مؤذني مصر يفتحون الراء في قول المؤذن

(١) ظاهرة الشذوذ في النحو العربي ٤٥٩.
(٢) كشف الظنون ١ / ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤ بتصرف.

«اللهُ أكبَر» على الوقف والصواب الرفع»[1]. الحقيقة أن العالم وهو الشيخ الراعي ذكر الصواب، ولكن المثير في هذا الشأن هو الاعتقاد بأن الفتح في كلمة «أكبرَ» لغة هو الخطأ». الوقف علي المرفوع عند العرب لا يكون بالفتح مطلقاً بل بالسكون[2].

ولا ريب أن اللغات التي ذكرها النحاة أخذت في التلاشي والاضمحلال حديثاً في الحياة اليومية أو استخداماً ككتابة عند معظم المثقفين ما عدا بعض المتخصصين إذا دعتهم ضرورة إلى ذلك كما أشرت سابقاً، ويرجع ذلك إلى توحيد الثقافة في العالم العربي، وقراءة القرآن الكريم على حرف واحد في أغلب الأحيان حيث لا نلحظ قارئاً واحداً يقرأ مستمراً على الأحرف السبعة بل نلحظ أن بعض القراء يلجئون إلى قراءة آية أو اثنتين على الأكثر بالأحرف السبعة كما أن التقارب بين العالم العربي نتيجة لتطور وسائل الإعلام كالصحف والمجلات والكتب والإذاعات والتلفاز، قرب هذه اللغات، وجعلها قريبة المنال من أي عربي، مهما كانت مدينته، وقد يستطيع أيُّ مجيدٍ للفصحي أن يعمل في أي إذاعةٍ عربية دون عناء حتى يُخَيَّلُ أحياناً للسامع لأي حديث بالفحصى أن هذه الإذاعة عربية دون معرفةٍ لمن تنتسب. وقد أضحى العربي يطلع على لغته العربية أينما كان ولن نغالي إذ نقرر أن بعض العرب يجيدون أو يفهمون لغات الأمصار العربية الأخرى، ولو عاميةً وما لا شك فيه أن لتطور المواصلات أثراً في ذلك وقد كان العربي إذا أراد الخروج من مكة مثلاً، قاصداً بلادَ الشام يحتاج إلى مدة طويلة للوصول إليها[1] أما الآن فقد

---

(١)) الأجوبة المرضية عن الأسئلة الحوية مخطوط ورقة ١٦، ١٧ بتصرف.

(٢) شرح الشافية ٢ / ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، وما بعدها.

يستطيع الوصول إليها[1] في مدة لا تزيد عن الساعتين وبعد، نرجو الله الكريم أن أكون قد وفقت لإبراز هذه الظاهرة وأعلم يقيناً أن الكمالَ لله وحده عَزَّ وجل أما عَمُل الإنسان فهو معرض للخطأ والنسيان وإن الكمال لله وحده، راجياً الله الكريم أن يرفع قدر هذا العمل وأن ينفع به أمتنا العربية والإسلامية لخدمة ديننا الحنيف وقرآننا الخالد، وأنا أبرأ إلى الله عز وجل من القوة والحول وإياه استغفر من الزلل في العمل والقول لا إلَهَ غيره. وهم نعم المولى ونعم النصير.

والله الموفق.

فتحي عبد الفتّاح الدّجني

(١) قال الدكتور جواد علي: «لا أملك نصاً جاهلياً فيه أخبار عن الطرق عند العرب وكانت هذه الطرق معقدة في شتى المجالات انظر «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام مج / ٧ / ٣٣١ وانظر مثلاً الطرق بين العراق والشام ومكة والحيرة. مج ٧ / ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥ ـ وما بعدها.

مَصَادِرُ البَحْث

أولاً: المخطوطات:

١ ـ الأجوبة المرضية عن الأسئلة النحوية للشيخ الراعي دار الكتب المصرية القاهرة رقم ٣٩٣ نحو.

٢ ـ ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي دار الكتب المصرية نحو رقم ١١٠٦.

٣ ـ الإفصاح في إعراب الكافية للسيوطي دار الكتب المصرية رقم ٣٥٧ نحو.

٤ ـ الإيضاح في شرح المفصل للسيد موسى علوان آداب القاهرة رسائل ١٥٣٥ نحو.

٥ ـ التضمين في النحو العربي عبد الفتاح بحيري آداب جامعة القاهرة رسائل ١٩٠٥ نحو.

٦ ـ الجمل للزجاجي دار الكتب المصرية رقم ٦٧ نحو.

٧ ـ رسالة في النحو والصرف أحمد بن علي بن مسعود جامعة القاهرة رسائل نحو.

٨ ـ شرح السيرافي على كتاب سيبويه «أبو سعيد السيرافي دار الكتب رقم ١٧٣ نحو.

٩ ـ شرح المقدمة النحوية لابن با بشاد تحقيق محمد أبو الفتوح آداب القاهرة رسائل نحو رقم ١٥٦٤.

١٠ ـ كتاب البداية في تقويم اللسان الإمام إبراهيم المداري دار الكتب المصرية رقم ٤٣٧ نحو.

١١ ـ كتاب تهذيب إصلاح المنطف للتبريزي تحقيق فوزي سعد آداب القاهرة رسائل ٢٠٤٥.

ثانياً: المطبوعات

١٢ ـ أباطيل وأسمار للشيخ محمود شاكر ط (٢) المندني مصر ١٩٧٢.

١٣ ـ أبحاث في اللغة د. داود عبده ط بيروت ١٩٧٣.

١٤ ـ ابن رشيق ونقد الشعر د. عبد الرؤ وف مخلوف وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٣

١٥ ـ أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي د. فتحي الدجني وكالة المطبوعات ١٩٧٤.

١٦ ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ط (١) الحلبي مصر ١٩٥١.

١٧ ـ أخبار النحويين البصريين للسيرافي تحقيق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجة وآخر الناشر البابي الحلبي.

١٨ ـ الأدب العربي وتاريخه الأستاذ محمود مصطفى ط (٢) مصر ١٩٣٧.

١٩ ـ أدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ط (٢) السعادة.

٢٠ ـ أساس البلاغة للزمخشري دار صادر لبنان ١٩٦٥.

٢١ ـ أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني تعليق الشيخ أحمد المراغي التجارية ١٩٥٢ مصر.

٢٢ ـ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام الأستاذ سعيد الأفغاني ط دار الفكر ١٩٦٠.

٢٣ ـ الأصول في النحو لابن السراج تحقيق د. عبد الحسين الفتيلي ط النجف العراق ١٩٧٣.

٢٤ ـ إعجاز القرآن للبلاقلاني تحقيق السيد أحمد صقر دار المعرفة (سلسلة تراثنا).

٢٥ ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه ط حيدر أباد الدكن ١٣٥٩.

٢٦ ـ إعراب ما من به الرحمن العكبري تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة ط الحلبي مصبر ١٩٦١.

٢٧ ـ الأغاني لأبي فرج الأصبهاني الناشر مكتبة الحياة بيروت والمؤسسة العامة القاهرة.

٢٨ ـ الاقتراح جلال الدين السيوطي ط حيدر أباد الدكن ١٣١٠ هـ وط السعادة ١٩٧٦.

٢٩ ـ الانصاف في مسائل الخلاف للأنباري تحقيق الشيخ محمد محي الدي ط (٥) لبنان.

٣٠ ـ الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن د. عبد الرؤف مخلوف مكتبة الحياة ١٩٧٣.

٣١ ـ البداية والنهاية الحافظ ابن كثير ط السعادة مصر ١٩٣٢.

٣٢ ـ البحر المحيط لأبي حيان السعادة مصر ١٣٢٨ هـ.

٣٣ ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الحلبي ١٩٥٨.

٣٤ ـ أوضح المسالك تحقيق الشيخ محمد محي الدين ط (٥) بيروت ١٩٦٦.

٣٥ ـ البيان في إعراب غريب القرآن تحقيق د. طه عبد الحميد وزارة الثقافة مصر ٦٩.

٣٦ ـ تاج العروس من جواهر القاموس الزبيدي ط (١) الأميرية وانظر ط الكويت.

٣٧ ـ تاريخ آداب العرب للرافعي مطبعة الاستقامة ١٩٤٠ م.

٣٨ ـ تاريخ الأدب العربي بلا شير ط دار الفكر.

٣٩ ـ تاريخ النحو وأصوله د. عبد الحميد طلب مكتبة الشباب مصر ١٩٧٧.

٤٠ ـ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي تحقيق د. عبد العزيز مطر الناشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ١٩٦٦.

٤١ ـ التنظيمات الإجتماعية والاقتصادية في البصرة د. صالح العلي بغداد ١٩٥٢.

٤٢ ـ تطور الدرس النحوي د. حسن عون معهد بحوث جامعة الدول العربية ١٩٧٠.

٤٣ ـ تهذيب اللغة للأزهـري سلسلة تراثنا مصر ١٩٦٤ م.

٤٤ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني النحوي وآخرين دار المعارف مصر.

٤٥ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون دار المعارف ١٩٦٢.

٤٦ ـ حاشية الخضري علي شرح ابن عقيل ط ١٩٤٠ م.

٤٧ ـ حاشية الصبان دار إحياء الكتب العربية مطبعة الحلبي مصر.

٤٨ ـ حاشية العشماوي على متن الأجرومية للشيخ عبد الله العشماوي ط

(٢) ١٣١٥ هـ.

٥٠ ـ الحيوان للجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون.

٤٩ ـ حاشية فتح الجليل للشيخ أحمد السجاعي ط الحلبي مصر ١٩٤٣.

٥١ ـ خزانة الأدب للبغدادي تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون دار الكتاب العربي ١٩٦٧.

٥٢ ـ الخصائص لابن جني ط دار الكتب المصرية وط دار الهدي بيروت ـ لبنان.

٥٣ ـ دراسة احصائية لمعجم تاج العروس د. على حلمي ود. عبد الصبور شاهين جامعة الكويت.

٥٤ ـ دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمد عبد المنعم خفاجه القاهرة ١٩٦٩.

٥٥ ـ زينة الفضلاء لأبي بركات الأنباري تحقيق د. رمضان عبد التواب لبنان ١٩٧١.

٥٦ ـ السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرين ١٩٣٦ الحلبي.

٥٧ ـ شرح ابن عقيل تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ط (١٥) دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٢.

٥٨ ـ شرح الأشموني تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد بيروت ١٩٥٥.

٥٩ ـ شرح التصريح على التوضيح الشيخ خالد الأزهري ط الحلبي مصر ١٣٥٦ هـ.

٦٠ ـ شرح شذور الذهب تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة ١٩٦٥ .

٦١ ـ شرح الشافية لرضي الدين الاستراباذي مطبعة حجازي مصر ١٣٥٦ هـ.

٦٢ ـ شرح قطر الندى لابن هشام تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ط الكويت.

٦٣ ـ شرح الكافية لرضي الدين الاستراباذي دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

٦٤ ـ شرح اللمحة البدية لابن هشام تحقيق د. هادي نهر ط بغداد ١٩٧٧.

٦٥ ـ شرح المفصل لابن يعيش مطبهة عالم الكتب بدون تاريخ لبنان.

٦٦ ـ الصاحبي أحمد بن فارس تحقيق د. مصطفى الشويمي مؤسسة بدران بيروت ١٩٦٤.

٦٧ ـ الصحاح للجوهري مطبعة دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

٦٨ ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق الأستاذ محمود شاكر دار المعارف ١٩٥٢.

٦٩ ـ ظاهرة الشذوذ في النحو العربي فتحي الدجني وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٤.

٧٠ ـ العربية يوهان فك ترجمة المرحوم د. عبد الحليم النجار ١٩٥١ القاهرة.

٧١ ـ العربية ولهجاتها د عبد الرحمن أيوب مطبوعات جامعة الدول العربية.

٧٢ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ط (٢) دار المعرفة بن بولاق ١٣٠١ هـ.

٧٣ ـ فجر الإسلام المرحوم الأستاذ أحمد أمين ط بيروت موسوعة أحمد أمين العلمية.

٧٤ ـ فصيح ثعلب تحقيق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجة ط (١) ١٩٤٩.

٧٥ ـ فهرس شواهد سيبويه الأستاذ أحمد راتب النفاخ ط (١) دار الإرشاد بيروت ١٩٧٠.

٧٦ ـ في الصرف العربي فتحي الدجني الناشر مكتبة الفلاح الكويت ١٩٧٩.

٧٧ ـ في ظلال القرآن المرحوم سيد قطب ط (٥) دار إحياء التراث بيروت ١٩٦١.

٧٨ ـ القاموس المحيط الفيروز أبادي ط قديمة وأخرى مصورة دار مكتبة التربية بيروت.

٧٩ ـ القراءات واللهجات الأستاذ عبد الوهاب حمودة مطبعة السعادة مصر.

٨٠ ـ القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية د عبد العال سالم دار المعارف ١٩٦٨.

٨١ ـ الكتاب لسيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون وانظر ط ١ بولاق.

٨٢ ـ كشف الظنون حاجي خليفة ط (٣) المطبعة الإسلامية طهران ١٣٧٨.

٨٣ ـ لسان العرب لابن منظور طبعة يوسف خياط لبنان و ط دار صادر ١٩٥٥.

٨٤ ـ اللغة لفندريس ترجمة عبد الرحمن الدواخلي الانجلو مصر ١٩٥٠.

٨٥ ـ اللغة والنحو د. حسن عون ط مصر ١٩٥٢.

٨٦ ـ مجالس ثعلب لثعلب (أبو العباس) تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون دار المعارف.

٨٧ ـ مجالس العلماء للزجاجي تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون طبعة الكويت ١٩٦٢.

٨٨ ـ المذكر والمؤنث للمبرد تحقيق د. رمضان عبد التواب وآخر ط دار الكتب.

٨٩ ـ مراتب النحويين لأبي الطيب الحلبي نهضة مصر ١٩٥٤.

٩٠ ـ مروج الذهب للمسعودي تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد السعادة.

٩١ ـ المزهر في علوم اللغة للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر ط الحلبي.

٩٢ ـ المشكل في إعراب القرآن لمكي تحقيق حاتم الضامن ط (١) بغداد وزارة الإعلام ١٩٧٥.

٩٣ ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية د ناصر الدين الأسد دار المعارف ط (٤).

٩٤ ـ المصباح المنير أحمد الفيومي ط البابي الحلبي مصر.

٩٥ ـ المصباح في علم النحو للمطرزي تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الحميد طلب ط (١) مصر.

٩٦ ـ معاني القرآن للفراء ط دار الكتب المصرية ١٩٥٦.

٩٧ ـ معجم الأدباء ياقوت الحموي ط دار المأمون وط الحلبي مصر.

٩٨ ـ المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي تحقيق الأستاذ أحمد شاكر طهران ١٩٦٦.

٩٩ ـ مغني اللبيب لابن هشام تحقيق د مازن المبارك وآخر ط (٢) دار الفكر.

١٠٠ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د. جواد علي دار العلم للملايين ١٩٧٧.

١٠١ المقتضب للمبرد تحقيق الشيخ عبد الخالق عضيمة ط (٢) المجلي الأعلي للشؤون الإسلامية.

١٠٢ ـ مقدمة ابن خلدون تعليق الأستاذ علي وافي لجنة البيان العربي ١٩٧٥.

١٠٣ ـ مقدمة إعجاز القرآن للباقلاني الأستاذ أحمد صقر دار المعارف ١٩٥٤.

١٠٤ ـ مقدمة تاج العروس للزبيدي مج (١) ط الكويت وزارة الإعلام.

١٠٥ ـ المقرب لابن عصفور تحقيق الأستاذ أحمد الجواري وآخر بغداد مكتبة العاني ١٩٧١.

١٠٦ ـ من تاريخ الأدب العربي د. طه حسين دار صادر بيروت ١٩٧١.

١٠٧ ـ الموجز في النحو لابن السراج تحقيق د مصطفى الشويمي وآخر بيروت ١٩٦٥.

١٠٨ ـ من حاضر اللغة العربية الأستاذ سعيد الأفغاني ط (١) دمشق ١٩٧١.

١٠٩ ـ نحو عربية ميسرة الأستاذ أنيس فريحة دار الثقافة لبنان ١٩٥٥.

١١٠ ـ نشأة النحو الشيخ محمد الطنطاوي ط (٢) ١٩٦٩.

١١١ ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب تحقيق إبراهيم الأبياري ١٩٥٩.

٢١٢ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي مطبعة السعادة مصر ١٣٢٧ هـ.

ثالثاً ـ الدوريات:

١١٤ ـ مجلة كلية الآداب جامعة الكويت.

١١٥ ـ مجلة المجمع اللغوي المصري.

١١٦ ـ مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة.

١١٧ ـ مجلة اللسان العربي الرباط ـ المغرب.

الفهـــارس

١ ــ فهرس الآيات القرآنية
٢ ــ فهرس الأحاديث الشريفة
٣ ــ فهرس الأشعـار

فهرس آيات القرآن الكريم

اسم السورة	رقم الآية	الآيات	رقم الصفحة
البقرة	٣١	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾	٢٠
البقرة	٧١	﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾	١٣٠
البقرة	١٨٦	﴿وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾	١٣٨
البقرة	٢٢٠	﴿واللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾	١٣٢
البقرة	٢١٤	﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرسُولُ﴾	٦٣
آل عمران	١٣	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾	٩٩
المائدة	٢٣	﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾	٩٨
المائدة	٧١	﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُم﴾	٩٨
الأنعام	٨٠	﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمَا﴾	٢١
الأنعام	١٥٠	﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾	١٣٦
الأعراف	١٩٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِباداً أَمْثَالُكُمْ﴾	١٠٩
التوبه	١١٧	﴿مِنْ بَعْدِما كَادَ يزيغُ قلُوب فريقٍ مِنْهُمْ﴾	١٣٠
هود	١٠٥	﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾	١٣٩
هود	٦٨	﴿كفروا ربهم﴾	٧٤
يوسف	٤	﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ﴾	١٠٤
يوسف	٥	﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رؤ ياك على إِخْوَتِكَ﴾	١٣٣
يوسف	٨	﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾	١٠٤
يوسف	٢٢	﴿ولَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ أتيناهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾	٢٠
يوسف	٢٣	﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ﴾	٢٢-٧٥
يوسف	٣١	﴿مَا هَذَا بَشَـراً﴾	٦٤-١٠٧
يوسف	٦٣	﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إلى أَبِيهم قَالُوا﴾	١٠٤
يوسف	٦٨	﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِن حَيْثُ أَمَرَهُم أَبُوهُم﴾	١٠٤
يوسف	٨٠	﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَوْثِقاً﴾	١٠٤
يوسف	٨٤	﴿يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ﴾	١١٦
يوسف	٧٠	﴿يخْرُجُ مِن بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾	٢٠

رقم الصفحة

السورة	الآية	النص	رقم الصفحة
يوسف	١٢	﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبياً لَعَلَّكُمْ تعْقِلُونَ﴾	٣٨
الرعد	٩	﴿عَالِمُ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾	١٣٨
إبراهيم	٤	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	١٦
النحل	١٠٣	﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾	١٦
النحل	١٦	﴿وَمِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً﴾	٤٠
الكهف	٦٤	﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾	١٣٨
الكهف	٨٠	﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَانِ﴾	١٠٠
مريم	٢٨	﴿يَا أُخْتَ هارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾	١٠٤
طه	٦٣	﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾	٩٩
طه	٩٨	﴿لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمَاً﴾	٢١
الأنبياء	٢	﴿وأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾	٩٨
الأنبياء	١١٢	﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بالْحَقِّ﴾	١١٥
الأنبياء	٧٤	﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْمَاً وَعِلْماً﴾	٢٠
النور	٤٠	﴿لَمْ يَكَدْ يراها﴾	١٣٠
الشعراء	٥٠	﴿قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾	١٠٣
الشعراء	١٩٥	﴿بِلِسانٍ عَرَبيٍّ مُبِينٍ﴾	١٦ ـ ٣٨
النمل	١٥	﴿وَلَقَدْ آتينا دَاوُدَ و سَلَيْمَانَ عِلْماً﴾..............	٢٠
القصص	١٧	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً للمُجْرِمِينَ﴾	١١٨
القصص	٢٣	﴿وأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾	١٠٣
القصص	٣٤	﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً﴾	١٦
القصص	٣٢	﴿فَذَانِكَ بُرْهانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾	٤٤
الأحزاب	١٨	﴿والْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِم هَلمَّ إِلَيْنَا﴾	١٣٦
الأحزاب	٤٠	﴿مَا كَانَ مُحَمدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُم	١٠٤
سبأ	٥١	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ﴾	١٠٣
الصافات	٨	﴿لا يسمعون إلى الملإ الأعلى﴾	١٣١
المزمر	١٦	﴿يا عِبَادِي فَاتَّقُونِ﴾	١١٥

			رقم الصفحة
الزمر	٥٣	﴿يا عِبادِيَ الذين اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾	١١٠
غافر	٧	﴿رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وعِلْماً﴾	٢١
فصلت	١٢	﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ في يَوْمَينِ﴾	٩٩
فصلت	٢٩	﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا﴾	٩٩
الزخرف	٣١	﴿لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرِيَتِينِ﴾	٩٩
الزخرف	٦٨	﴿يَا عِبَادِي لاَ خَوْفَ عَلَيْكُم﴾	١١٥
الدخان	٥٨	﴿فإنَّما يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	١٦
الأحقاف	١٢	﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِياً لِيُنْذِرَ﴾	١٦
الفتح	٧	﴿ولله جُنُودُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾	١٣٥
الفتح	١١	﴿بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْلَمُونَ خَبِيراً﴾	١٣٥
الفتح	١٤	﴿يَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾	١٣٥
الفتح	٢٦	﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيماً﴾	١٣٥
ق آية	٤٢	﴿يَوْمَ يسْمعونَ الصيحة﴾	١٣٢
الطور	٣٤	﴿فَلْيأتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إنْ كَانُوا صادِقِينَ﴾	٥٢
النجم	١	﴿والنَّجمِ إذَاهَوَى ،مَا ضَلَّ صَاحُبُكُمْ وَمَا غَوى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾	٢٠
القمر	٦	﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إلى شَيْءٍ نُكُرٍ	١٣٨
المجادلة	٢	﴿مَا هُنَّ أُمَهَاتِهِمْ﴾	١٠٧ - ١٠٨
الطلاق	١٢	﴿وأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَاً﴾	٢١
النبأ	٢٨	﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾	١٣٢
عبس	٣	﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى	١٣٦
الضحى	٣	﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾	١١٩
الضحى	٦	﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَأَوَىٰ	١٢٠
الضحى	٧	﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ﴾	١٢٠
الضحى آية	٥	﴿ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى﴾	٢٣

الضحى	٨	﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾	١٢٠
القدر	٢	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾	١٣٦
الهمزة	٣	﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾	١٣٤
الإخلاص	٤	﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٢٢

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة

نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّها كَافٍ شَافٍ فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّر مِنْهُ ١٧

إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتَ إِلَيْهِ أَنْ أُهَوِنَ عَلَى أُمتي ، وَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُ حَتّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُف ٤٧

أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبَ وَلَدَتْني فِي قُرَيْش وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ فَأَنّى يَأْتِيَنِي اللَّحْنُ ... ٣٩ ـ ٥٠

مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبَّ إِلى اللهِ فِيها الصَّوْمُ مِنْهِ فِي عَشْرِ ذِي الحُجَّةِ ١٠٦

يَتَعَاقَبُونَ فِيْكُم مَلَائِكَةٌ بِاللَّيلِ وَمَلائِكَةٌ بالنَّهارِ ٩٨

لا وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ ٩٩

لَيْسَ مِنَ امْبِرِّ امْصِيَامُ في امْسَفَرِ ١٢٢

مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلّي الْعَصْرَ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تغرب ١٣٠

لا أَحَدَ أَغْيَرُ من اللهِ ١٠٢

ارْشِدُوا أَخَاكُمْ فَقدْ ضَلَّ ٨٥

اللَّهُمَ اجْعَلَهَا عَلَيهم سِنيناً كَسِنينِ يُوسُفَ ١٠١

هَلُمُّوا أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَاباً لاَ تضلوا بَعْدَهُ ١٣٧

فهرس الشعر

الصفحة

تَـرَبَّـعَ صَـارةً حَـتّـى إذا مَـا فَـنَـا الـدَّحْـلانُ عَنَّـهُ والإضـاءُ ٥٧
لَـيْتَ شِعْـرِي وَأيْنَ مِنّي لَـيْـتُ إنَّ لَـيْـتَـا وإنَّ لَوّاً عَـنَـاءُ ١٣٣
٩٦

ب

وَقُلْنَـا لـلدَّلِيـلِ أقِمْ إلـيْـهـم فَـلاَ تُـلْغَى لِـغَيْـرِهُـم كِـلاَبُ ١٤٠
وَفِي النَّاسِ أقْذَاعٌ مَلاَهِيجُ بـالخَنَا مَتَى يَبْلُغِ الجِدّ الحَفِيـظة يَلْعَبُـوا ١٥
مِن مَنْـزلي قَدْ أخْـرَجَتْنِي زَوْجَتِي تَهِـرُّ فِي وَجْهِي هَـرِيـرَ الكلبة ٢٣
بأنَّ ذَا الكَلْبِ عَمْراً خَيْرُهُم حَسَباً بِبَطْنِ شِرْيَانَ يَعْوِي حَـوْلَهُ الـذِّيبُ ١٠٢

ت

إنَّ الـعِـرَاقَ وأهْـلَهُ سَلِمٌ عَـلَيْـكَ فَـهَيْـتَ هَيْـتَـا ٢٢ ـ ٧٥
فَـإنَّ الـمَـاءَ مَـاءُ أبِي وَجَـدِّي وَبِئْـري ذُو حَفَـرْتُ وذُو طَـوَيْتُ ١١٢
لَيْتَ وَهَـلْ يَـنْفَـعُ شَـيْئـاً لَيْتُ لَيْتَ شَبَـابـاً بُـوعَ فـاشْـتَـرَيْـتُ ١٣٣

ج

شَـرِبْنَ بِمَـاءِ الْبَحْـرِ ثُمَّ تَـرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْـرٍ لَهُنَّ نَئِيـجُ ١٢٣
رعى بأرض الوَسْمِيّ حتى كـأنَّما يَـرى بِسَغَى البُهْمَى أخلَّةَ مُلْهِـج ١٦

نَحْنُ الـذُونَ صَبَّحُـوا الصَّحَـاحَـا يَـوْمَ النُّخَيْـلِ غَـارَةً مِلْحَـاحَـا ١١٠
إذَا اللّقَـاحُ غَدَتْ مُلْقَىً أصِرَّتُها وَلاَ كَـرِيمَ مِن الـوِلْـدَانِ مُصْبُـوحُ ١٠٣

د

وَمَــنْ يَـتَــقِ فَــإِنَّ اللهَ مَـعَــهُ وَرِزْقُ اللهِ مُــؤْتَــابٌ وَغَــادِ ٤٣

وإِنْ قَالَ مَوْلاَهُم عَلَى جُلِّ حَادِثٍ مِن الدَّهْرِ رُدُّوا فَضْلَ أَحَلامكم ردوا ٦٧

أَلا أَيُّهَذَا الزَاجِري أحْضُرُ الْـوَغَى وإِنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي ٧٣

دَعَــانِيَ مِنْ نَجْـدٍ فَــإِنَّ سِنِينَــهُ لَعِبْنَ بنـا شِيبـاً وشَيَّبْنَنَـا مُــرْدا ١٠١

سِوَى أَبِكَ الأَدْنَى وإِنَّ مُحَمَّـداً عَلاَ كُلَّ عَـالٍ يا بنَ عَم مُحَمَّدِ ٧٦

إِذَا اسْوَدَ جَنْحُ اللَّيلِ فَلْتَأْتِ وَلْتَكُنْ خُطَاكَ خِفَاقـاً إِنَّ حُرَّاسَنـا أُسَدَا ١١٦

كَـادَتْ النَّفْسُ أَنْ تَفِيضَ عَلَيْهِ إِذَا غَــدَا حَشْــوَ رَيْـطةٍ وَبَــرُودِ ١٣٠

ر

حَيُّوا الْمَقَامَ وحَيُّوا سَاكَنَ الْدارِ مَـا كِدْتَ تَعْرِفُ إِلا بَعْـدَ إِنْكَـارِ ١٣٠

وَيَهْلُكُ وَسْـطَهـا الْمَـرِئي لَغْـواً كَمَـا أَلْغَيْتَ فِي آلـدِّيـةِ الحُـوَارَا ١٤

فَـفِـدَاءٌ لِبَـنِـي قَيْـسٍ عـلـى مَا أَصَابَ النَّـاسَ مِن سُوْءٍ وَضُرَّ ٧٠

مَــا أَقَـلَّتْ قَـدَمِـي أَنَـهُمْ نِعْمَ السَّـاعُونَ فِي الأَمْـرِ المُبِر ٧٠

اللهُ يَـعْـلَمُ أَنَّــا فِـي تَـلَفُّـتِنَـا يَـوْمَ الْفِـرَاقِ إلى جِيـرَانِنَا صُــورُ ٤٤

وأَنَّني حَيْثُ مَا يَثْني الهَوى بَصَري مِنْ حَيْثُ مَا سَلَكُوا أدنـو فأَنْـظُورُ ٤٤

كَمْ عَمَّـةٌ لَكَ يَـا جَـرِيـرُ وَخَـالَـةٌ فَـدْعَاءَ قَـدْ حَلَبَتْ عَليَّ عَشَـارِي ١١٦

شَتَّـانَ مَـا يَــومي عَلَى كُـورهَــا وَيَــوْمَ حَـيَّـانِ أُخُـفَـى جَـابِــرِ ١٣٧

رَأَيْنَ الغَوَانَى الشَّيْبَ لاَحَ بِعَارِضي فَـأَعْرَضْنَ عَنّي بـالخِدودِ النَّـوَاضِرِ ٩٧

لَوْ كُنْتُ مُرْتَهِناً في القومِ أَفْتَنَنِي مِنُّهـا الـكَـلاَمُ وَرَبَّـانِيَّ أَخْبَـار ٥٢

س

مَـنَـعَ الْبَـقَـاءَ تَـقَـلُّبُ الـشَّـمْسِ وَطُـلُوعُهَـا مِـن حَيْـثُ لَا تُمْسي ١٢٧

وَطُلُوعُـهَــا حَـمْــرَاءُ صَــافِـيَــةً وَغُــرُوبُـهَــا صَفْــرَاءَ كَــالْــوَرْسِ ١٢٧

الْيَـوْمُ أَعْـلَمُ مَـا يَـجِـيءُ بِـهِ ... وَمَضَى بِـفَضْـلِ قَـضَـائِـهِ أَمْسِ ١٢٧

لَقَـدْ رَأَيْتُ عَـجَبـاً مُـذْ أَمْسَـا ... عَجَـائِـزاً مِثْـلَ السَّعَـالِي خَمْسَـا ١٢٧

يَـأْكُلْنَ مَـا فِي رَحْلِهِنَّ هَمْسَـا ... لَا تَـرَكَ اللهُ لَـهُـنَّ ضِـرْسَـاً ١٢٧

وَلَا لَقِينَ الدَّهْرَ إِلَّا تَعْساً ١٢٧

ص

فَقُولَا لِهَذَا الْمَـرْءِ ذُو جَاءَ سَاعِياً ... هَـلُمَّ فَـإِنَّ الْمَشْـرَفِيَّ فَـرَائِضُ ١١٢

أَظُنُّكَ دُونَ الْمَالِ ذُو جِئْتَ طَالِباً ... سَتَلْقَـاكَ بِيضٌ لِلنُّفُوسِ قَـوَابِضُ ١١٢

ع

إنما النحو قياس يتبع ... وبه في كل أمر ينتفع ٨٣

فَبَكَى بَنَانِي شَجْوُهُنَّ ... والطَّامِعُونَ إليَّ ثُمَّ تصدعوا ٢٣

سَبَقُوا هَوَيَّ واعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ ... فَتُخُرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ ١٢٢

قد طرقَتْ لَيْلَى بلَيْلٍ هاجعاً ... يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصِّبا رَواجِعَا ١١٧

ق

كَأَنَّ أُذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّقَاً ... قَادمةٌ أو قَلَمَاً مُحَرَّقَا ١١٧

رَضِيعِي لَبَانِ ثَدْيٍ أَمْ تَقَاسَمَا ... بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ ٥١

أَفْنَى تِلَادِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ ... قَرْعُ القواديز أَفْوَاه الأَبَارِيقِ ٦٨

ك

ألالك قومي لم يكونوا أشابةً ... وهل يَعِظُ الضّلّيل إلا ألايكا ٤٣

دَعَاكَ اللهُ من قيسٍ بأفعى ... إذا نام العُيُونُ سَرَتْ عَلَيْكَا ٨٠

فأدْرَكَنَهُ حالاتُهُ فخذلتهُ ... ألا إنّ عرْقَ السُّوءِ لا بُدَّ مُدْرِكُ ٩٧

فَعَيْناش عَيْنَاهَا وَجِيدُش جِيدُها	وَلَونُش إلا أنها غَيْرُ عَاطِل	٥٦
فَهَيْهَا هَيْهَاتَ العَقِيقُ وأَهلُهُ	وَهَيْهَاتَ خِلٌ بِالْعَقِيقِ نُواصله	١٣٧
إنْ يَبْخَلُوا أَوْ يَجْبُنُوا	أَوْ يَغْدرُوا لَا يَحْفِلُوا	٦٦
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ	كَأَنَّهُم لَمْ يَفْعَلُوا	٦٦
أَخَا الْحَرْبِ لِبَّاساً إليّها جَلاَلَها	ولَيْسَ بِوَلاَجِ الْخَوَالِف أَعْقَلا	٦٨
أَبَنِي كُلَيْبٍ أنَّ عَمَّي اللذا	قَتَلا المُلُوكَ وفككا الأغلالا	١١١
إنْ الْمَرْءُ مِيْتاً بِانْقَضاءِ حَيَاتِهِ	وَلَكن بَأَنْ يُبْغى عَلَيْهِ فَيُخْذَلا	١٠٩
رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِن الأمْـ	ـر لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ	٨٧
يَلُومُونَنِي فِي اشْتَراءِ النَّخِيـ	ـلِ أَهْلِي فَكُلُّهُم يَعْذِلُ	٩٧
نَصَرُوكَ قَوْمِي فَاعْتَزَزْتُ بِنَصْرِهم	وَلَوْ أَنَّهُم خَذَلُوكَ كُنْتَ ذَلِيلاً	٩٧

م

وَلَوْلاَ المُزْعِجَاتُ مِن اللَّيَالِي	لَمَا تَرَكَ القَطَاطِيبَ الْمَنَامِ	١٢٦
إذا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا	فإِنَّ القَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ	١٢٦
لَعَلَّ الله فَضَّلَكُمْ عَلَيْنَا	بِشَيْءٍ إنَّ أُمَّكُمُ شَرِيمُ	١٢٢
فَرَيشِي مِنْكُمْ وَهَوَاي مَعْكُمْ	وإنْ كَانَتْ مَوَدَتُكُمْ لِمَا مَا	١٢١
ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُوَاصِلُنِي	يَرْمِي وَرَائِي بَامْسَهم وامْسلَمه	١٢٢
أعن تَرَسَمْت مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً	مَاءُ الصَّبَابة مِنْ عَيْنَيك مَسْجُوم	٥٦
إنَّ بِهَا أكْتَلَ أو رُزَامَا	خُوَيْرَبَيْنِ يَفْقَانِ الْهَامَا	٦٥
فَكَيْف إذَا مَرَرْتَ بِدارِ قَوْمٍ	وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامَا	٦٨
وَرُبَّ أَسْرَابِ حَجِيجٍ كُظَّمٍ	عَنْ اللَّغَا وَرَفْثِ التَّكَلُّمِ	١٤
وإنِّي إذَا اسْتَلغَانِيَ الْقَوْمُ في السُّرَى	بَرِمْتُ فَألغُونِي بِسَرِكٍ أَعْجَمَا	١٥
تَزَوَّدَ مِنَا بَيْنَ أُذْنَاهِ طَعْنَةً	دَعَتْهُ إلى هَابِي التُّرَابِ عقِيمُ	٤٤ - ٩٩
بِأَبِه اقْتَدَى عَدِيٌّ فِي الْكَرَمْ	وَمَنْ يُشَابِهُ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ	١٠٥
تَوَلّى قِتَالَ المَارقينَ بِنَفْسِهِ	وَقَدْ أَسْلَمَاهُ مُبْعَدٌ وحَمِيمُ	٩٧
فكَيْفَ بليلةِ لا نَوْمَ فيها	ولا قَمَرٍ لَسَارِيها نجوم	١٢٣
لَوْلا الْحَيَاءُ وإنْ رأسي قد عَسَى	فيه المشِيبُ كزرْتُ أمَّ الْقَاسِمِ	١٣٠

ن

قَـالَـتْ وَكُنْـتُ رَجُـلاً فَـطِينَـا   هَـذَا لَـعَـمْـرُ اللهِ إسْـرائِـيـنَـا   ١٣٤
نَصَرْتُكَ إذ لا صَاحِبٌ غَيْرَ خَاذِلٍ   فبُوِّئْت حِصْناً بالكُمَاةِ حَصِينَا   ١٠٩
إنْ هُـوَ مُسْتَـوْلِيـاً عَلَى أَحَـدٍ   إلاَّ عَـلَى أَضْعَـفِ الْمَـجَـانِيـنِ   ١٠٩
لشَتَّـانَ مَا أَنْـوَي وَيَنْوِي بَنُـو أَبِي   جَمِيعـاً فَمَـا هَـذَانِ مُسْتَـوِيـانِ   ٧٥ - ١٠٨
تَمَنَوْا لِي الْمَوتُ الَّذِي يَشْعُبُ الفَتَى   وَكُـلُّ فَتَي والمَـوْتُ يَلْتَـقِيـانِ   ١٠٨
وَلَقَـدْ سَئِمْتُ مِن الْحَياةِ وَطُـولِهَا   وازْدِدْتُ مِن عَـدَدِ السِّنِين مِئِينَـا   ٥٧
مِئَـةٌ أَتَتْ مِن بَعْـدِهَـا مِئَتَـانِ لي   وازْدِدْتُ مِن عَـدَدِ الشُّهـورِ سِنِينَـا   ٥٧
هَـلْ مَا بَقَـا إلاَّ كَمَا قَـدْ مَـاتَنَا   يَـوْمٌ يَـكُـرُّ وَلَيْـلَـةٌ تَـحْـدُونَـا   ٥٧
أَجُـهْـالاً تَـقُـولُ بَـنِـي لُـؤَيٍ   لَعَمْـرُ أَبِيـكَ أَمْ مُتَجَـاهِلِينَـا   ٦٧ - ١٣٤
قَـدْ رَفَعَ الْعَجَّـاجُ ذِكْرِي فـادعُنِي   باسْمِيَ إذا الأَسْمَاءُ طَالَتْ يكفْنِي   ١٠٢
أنكـرتُها بَعْـدَ أعـوامٍ مضين لهـا   لا الدَّار داراً وَلاَ الجِيْرانُ جِيَـرانا   ١١

هـ

إنَّ   أَبَـاهَـا   وأَبَـا   أَبَـاهَـا   قَـدْ بَلَغَا فِيّ الْمَجْـدِ غَـايَتَـاهَـا   ١٠٥
أَبْـنَـاؤُهَـا   مُتَكَنِّفُـونَ   آبَـاهُـمُ   حَنِقُـو الصُّـدُورِ وَمَـا هُمْ أَوْلاَدَهـا   ١٠٨

ي

بَـدَتْ فِعْـلَ ذِي وَدٍّ فَلَمْـا تَبِعْتُهَـا   تَـوَلَّتْ وَبَقَّتْ حَـاجَتِي فِي فُؤَادِيـا   ١١٠
وَحَلتْ سَـوَادَ القَلْبِ لاَ أنَا بَـاغِياً   سِـوَاهَـا وَلاَ عَنْ حُبِّهـا مُتَـرَاخِيـا   ١١٠
تَعَزَّ فَلاَ شَيْءٌ عَلَى الأرض بَـاقِياً   وَلاَ وَزَرٌ مَـمِـا قَضَـى اللهُ وَاقِيـا   ١٠٩
أَذُو زَوْجَةٍ في المصرِ أَمْ لِخُصومةٍ   أَرَاكَ لَهَـا بَـالبَصْـرة العَامَ ثَـاوِيـاً   ٢٣
فـإمَّـا كِـرَامٌ مُـوسِـرونَ لَقِيتُهُمْ   فَحَسْبِي مِن ذُو عِنْدَهُم مَا كَفَانِيَا   ١١٢ - ١١٣
إذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خِلاصاً مِن الآذي   فَلاَ الْحَمْدُ مَكْسُوباً وَلاَ الْمَالُ بَاقِياً   ١١٠
مَـرَرْتُ بِـوَادِي السِّبَـاعِ وَلاَ أَرَى   كَـوَادِي السِّباعِ حِينَ يُـظْلم وَادِياً   ١٠٦
أَقَـلَ بِـهِ رَكْـبٌ أَتَـوه تِئِـيـةً   وأَخْوَف - إلاَّ مَا وَقَى اللهُ - سَارِيا   ١٠٦

فهرس الموضوعات

الصفحة

الباب الأول لغات العرب ١١ - ٤٨

الفصل الأول: الفرق بين اللغة واللهجة ١٣ - ٤٨

المعنى اللغوي لكل من اللهجة واللغة، المعني الاصطلاحي، الحرف والأحرف رأي أحمد ابن فارس، مناقشة الرأي، الرد عليه، اللغة الفصحى، موقف العلماء المحدثين من مفهوم اللغة واللهجة، خلاصة الآراء، تاريخ الفصحى، رأي العلماء رأي ابن سلام وابن فارس والمسعودي والجاحظ، رأي ثعلب النحوي. موقف المحدثين رأي الدكتور ناصر الدين الأسد، رأي الدكتور عبد الرحمن أيوب، رأي الدكتور عبد الرؤوف مخلوف، رأي المستشرق سير جارلز ليال، وحدة العربية رأي العلماء، اللغة التي سادت قبل الإسلام، الخلافات المستنبطة، آراء حول الاختلاف في لغات العرب، موقف النحاة من القبائل العربية، الأصول البصرية والكوفية.

الفصل الثاني: تفاوت القبائل العربية فصاحةً: ٤٩ - ٧٦

معنى الفصاحة عند علماء البلاغة، فصاحة اللغات، إعجاز القرآن الخلافات في اللغة لم تؤثر على القاهرة الإعرابية، نماذج للخلافات اللغوية، قد يقع في الكلمة الواحدة أثرْ من لغة تصل أحياناً إلى ست لغات، نماذج من لغات العرب من المزهر، تاج العروس، لسان العرب، تهذيب اللغة، أدب الكاتب والمصباح المنير. موقف علماء البصرة، النقل عن الفصحاء، المربد، شهادة ابن سلام، رأي السيوطي في القبائل الفصيحة، لغات العرب من كتب النحاة، كتاب سيبويه، أشهر القبائل التي نقل عنها سيبويه، بنو تميم، أهل الحجاز، أسد، أهل المدينة ومكة بكر بن وائل، سليم فزارة، هذيل رأي سيبويه بأفصح القبائل هم الحجازيون شواهد من كتاب سيبويه على لغات العرب وبخاصة لغة أهل الحجاز ولغة بني تميم شواهد للمبرد من كتابة «المقتضب، لم يسر المبرد على نمط سيبويه

في ذكر القبائل.

وكان يكتفي بقوله: قالت العرب، موقف الكوفيين من لغات العرب، أقوال الرواة ٧٠ ـ ٧٦
والرد عليهم، قياسهم علي رأي يحتاج إلى تعديل، نماذج من الآراء النحوية التي رفضها بعض الكوفيين لشذوذها، نماذج للكوفيين من لغات العرب، طائفة من آراء الكسائي، طائفة من آراء الفراء، طائفة من آراء ثعلب.

الفصل الثالث الظاهرة التاريخية: ٧٧ ـ ٩٢

القبائل العربية التي تنسب إليها اللغات، أزد شنوءة، بني الحارث بن كعب، بني العنبر، بني تميم، بني أسد، بني الهجيم، بكر بن وائل، ربيعة، حمير خثعم، هُذَيل، سُلَيم، زَبَيد، غنم، بني سعد، احصائية بعدد القبائل، العدد التقريبي للقبائل العربية التي خرجت من الجزيرة كما ذكرت ذلك كتب الأنساب، نتائج تقريبية لقيمة الاستشهاد بلغات العرب، موقف سيبويه والمبرد من بعض اللغات، بين التطور والضمور، القياس عند النحاة، اختلاف القياس عند علماء المدارس النحوية، اهتمام العرب بعلم النحو، الاهتمام بدأ من عصر الرسول عليه السلام كتاب سيبويه يمثل جهد البصريين وما سبقهم من العلماء، اهتمام الكوفيين قياساً وبناءً وتأليفاً، انـدثار المذهب الكوفي اهتمام البغداديين بالنحو العربي، آراء البغداديين كـ «تكرار» للنحاة السابقين، سقوط الأندلس وبغداد وأثره على الحركة النحوية في مصر وللشام، أثر ابن مالك علي الحركة النحوية دور أصحاب الحواشي في تراكم التأليف الجدلي.

الباب الثاني: الأثر النحوي ٩٣ ـ ١١٤

الفصل الأول: المرفوعات في لغات العرب ٩٥ ـ ١١٤

توضيح المصطلحات عند علماء النحو، رأي ابن هشام رأي السيوطي لغات العرب في الفاعل، لغة أكلوني البراغيث نسبت لبني الحارث وطيء، نماذج نثريه وآخرى من الشعر العربي، توجيه بعض اللغات على اللغة السابقة نحو قوله تعالى ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا، وصموا وعموا كثير منهم، توجيه بعض الأحاديث الشريفة، المثني، لغات العرب في المثنى، اللغة الأولي وهي المعروفة لدي الدارسين، واللغة الثانية وهم يعربونه كالاسم المقصور بالألف مطلقاً بحركات مقدرة اللغة الثالثة: حيث يعرب بحركات على

آخره كأنه اسم مفرد، ملحق المثنى الضمير «أنا» عند بني تميم، إعراب كلمة «سنين» بالحركات الظاهرة، اجتماع الاسم واللقب، خبر لا النافية للجنس، لغات العرب في الأسماء الستة، اللغة الأولى وهي بالواو رفعاً وبالألف نصباً وبالجر ياءً، اللغة الثانية وهي تعرب بالألف مطلقاً اللغة الثالثة وهي لغة النقص، رأي العلماء في الاسم السادس وهو «الهن» مسألة الكحل، رفع الاسم الظاهر بغد أفعل التفضيل، لغة حجازية، لغات العرب في ما و «إنْ» و «لا» المشبهات بليس، انحصار هذه المسألة بين أهل الحجاز وبني تميم، لغات العرب في الأسماء الموصولة، لغة هذيل وعقيل، حذف نون المثني عند بلحارث بن كعب وربيعة، ذو عند طيىء. ١٠٠ ـ ١١٤

الفصل الثاني: لغات العرب في المنصوبات والمجرورات ١١٥ ـ ١٢٤

المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، حددها العلماء بست لغات ووصلت عندهم إلى تسع، نصب الاسم الواقع بعد كم الخبرية لغة لبني تميم، نصب الجزءين بعد «إنَّ وأخواتها» الاستناء المنقطع عند بني تميم، نصب غير في الاستثناء مطلقاً، الجزم بلن، العطف على اسم إنَّ قبل الاتيان بالخبر، نصب بعض الأسماء لعامل محذوف عند بني أسد، نماذج من حذف المفعول به، نماذج من المفعول المطلق، نحو عفواً وشكراً وهَلُمَّ جرا، كلمات تعرب حالاً لعامل محذوف، نحو هنيئا وكافةً وعامةً وخاصةً وأولاً حتى عاشرا وغيرها من الأسماء، مَعْ اسم مبني على السكون في لغة ربيعة، آل الحميرية، إضافة ياء المتكلم للاسم المقصور، الجر بـ «لعل» لغة لقبيلة عقيل، الجر بمتى لغة لهُذَيل، الجر بلا التبرئة، تخفيف لما.

الفصل الثالث: ظواهر لغوية متفرقة ١٢٥ ـ ١٤٤

البناء والإعراب في بعض الأسماء، وزن «فَعَالِ» عند بني تميم وأهل الحجاز، ما جاء على الوزن السابق من أسماء الأناسي والجماد والحيوان، أمسِ في لغات العرب، لغة مطلقة في الممنوع من الصرف، لغات العرب حول بعض الأفعال، الاخلاف في بعض أبنية الكلم، إحصائية للجذور اللغوية للسان والصحاح وتاج العروس، لغات العرب في

الفعل «عسى وطريقة إسناده، اقتران خبر كاد بأن لغة حجازية لغات العرب في نعم وبئس، التعدي واللزوم في بعض الأفعال، التثقيل والتخفيف في فَعَلَ، بناء الأجوف للمفعول، عند بني دُبير وبني فقعس، الأدغام في المضعف عند بني تميم، إجراء الفعل قال مجري الظن عند بني سُلَيم، لغات العرب في حَسِبَ وأخواتها إلغاء الظاهرة الزمنية في بعض الأفعال في الاستعمال القرآني، لغات العرب في أسماء الأفعال، رأي سيبويه والسيرافي، حذف بعض أواخر الأسماء والأفعال عند العرب، الوقف رأي الفراء في الوقف.

مراجع البحث والفهارس.